الزمن فى مسرح الحكيم

أ.د/ عمر عبد العزيز الحسينى

الأستاذ المساعد فى قسم الأدب والنقد

بجامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين....والصلاة والسلام على رسول الله وعلى وآله وأصحابه

وبعد

فقد نال الأديب الكبير توفيق الحكيم شهرة كبيرة فى الأدب العربى لما قدمه من إبداعات فنية . روائية ومسرحية . استطاعت بتنوعها ومميزاتها الفنية أن تلفت انتباه القراء والنقاد ، ومن ثم فقد كثرت الدراسات والمقالات حول أعماله الأدبية وخاصة مسرحية [أهل الكهف] ، فقد تعددت الدراسات النقدية والأدبية حولها منذ صدورها حتى الآن ، وهذا يرجع إلى عمقها وثرائها الفكرى ، وليس أنها مجرد سرد للتاريخ ، هذا فضلا عن خصائصها الفنية.

وتوفيق الحكيم صاحب رؤية وفكر ذهنى عميق ، فهو يعالج القضايا الإنسانية فى إبداعاته الأدبية بصور متعددة ومتنوعة ، وقد لاحظ البحث أنه تناول مشكلة صراع الإنسان مع الزمن فى أولى مسرحياته وذلك فى إطار تاريخى فى مسرحية [أهل الكهف] ، وظلت هذه الفكرة تسيطر على عقله سنوات طويلة حتى عالجها مرة أخرى فى إطار اجتماعى وبؤرة زمنية تتمثل فى الحاضر من خلال مسرحية [لو عرف الشباب] ، ثم عاد مرة ثالثة ليعرض هذه القضية فى إطار المستقبل من خلال مسرحية [رحلة إلى الغد] ، وقد استطاع فى مسرحياته الثلاث أن يحشد النماذج البشرية على اختلاف أنماطها وتنوع اتجاهاتها ، وتباين ثقافاتها ، واختلاف أزمنتها ؛ ليعرض صورة صراع الإنسان مع الزمن بصورة دقيقة دلت على عمق وثراء إبداعات الكاتب توفيق الحكيم.

وقد كانت هذه العلاقة التى تجلت فى المسرحيات الثلاث سببا فى دراستها وكشف أبعاد الرؤية والمضمون فيها وملامح الاتفاق والاختلاف بينها.

وقد قسمت البحث إلى فصلين يسبقهما تمهيد حول معنى الزمن ، وتعقبهما خاتمة.

أما الفصل الأول فهو بعنوان : صراع الزمن فى مسرح الحكيم (قراءة فى المضمون) وينقسم إلى أربعة مباحث :

المبحث الأول : صراع الزمن فى مسرحية [أهل الكهف].

المبحث الثانى : صراع الزمن فى مسرحية [لو عرف الشباب].

المبيحث الثالث : صراع الزمن فى مسرحية [رحلة إلى الغد].

المبحث الرابع : ملامح الاتفاق والاختلاف بين المسرحيات.

أما الفصل الثانى فهو بعنوان : صراع الزمن فى مسرح الحكيم (قراءة فى الشكل) وينقسم إلى أربعة مباحث :

المبحث الأول : الحوار.

المبحث الثانى : الشخصيات.

المبيحث الثالث : الصراع.

المبحث الرابع : الحبكة الفنية.

وبعد فهذه محاولة للكشف عن فكرة ذهنية إنسانية سيطرت على الحكيم فترة طويلة من حياته ، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم إنه على ما يشاء قدير.

أ.د/ عمر عبد العزيز الحسينى

تمهيد

يتلاشى عنصر الزمن فى الإبداع الشعرى ، فلا تظهر حدود زمانية أو مكانية تقف عندها القصيدة الشعرية ، بل إنها تستطيع أن تسمو إلى درجات الرقى حين تتخلص من محدودية الزمان ابتداءً وانتهاءً ؛ لتحمل فى طياتها أعماقا زمنية أكثر امتداداً بما تحمله من قيم إنسانية تتخطى حدود الزمن المحدود ، أما فى الرواية والمسرح فقد كان من أول الشروط التى وضعها [أرسطو] فى كتابه : [فن الشعر] واتبعه فيها الكلاسيكيون فى القرن التاسع عشر قانون الفصل بين الوحدات الموضوع والزمان والمكان ، وضرورة أن يلتزم الكاتب المسرحى بوحدة الزمان ، ولكن سرعان ما هاجم [فيكتور هيجو] فى النصف الأول من القرن التاسع عشر هذه الحدود التى اعتبرها قيودا تقصر الزمن فى المسرحية على أربع وعشرين ساعة ووحدة المكان بمدينة واحدة؛ لينطلق الأدباء فى امتداد زمانى أكثر رحابة وأكثر رمزية ، وأكثر عمقاً ،" فالبناء المسرحى لايمكن أن يكون بالضبط كالبناء المعمارى فالمهندس إذا رسم مساراً على خريطة فلا شىء يغيره ، أما المؤلف فإنه لايضمن بقاء جزئية على حالها لو اندفعت شخصية فى اتجاه آخر "[1]

هذا عن الزمن فى المسرحية ، وهو زمن أحداثها الذى يستغرق أفعال شخوصها ، أما أن يكون الزمن موضوعاً ومادة للمسرحية فهذا ما فعله توفيق الحكيم فى بعض مسرحياته ، وهو ما سيتناوله البحث ، وقبل أن نتناول هذا الجانب فى مسرح الحكيم يجب أن نوضح مفهوم الزمن.

(١) فن الأدب توفيق الحكيم. ص ١٤٩ دار مصر للطباعة

الزمن فى اللغة " اسم لقليل الوقت أوكثيره ، ويجمع على أزمن وأزمنة وأزمان ، وهو العصر ، قال ابن الأعرابى أزمن بالمكان أقام فيه ، وقال اللحيانى : قال شمر : الزمان شهرين إلى ستة أشهر ، والدهر لا ينقطع"(١)

وقد تعددت الأقوال والآراء بين الفلاسفة وعلماء النفس(٢)فى تحديد معنى الزمن وبصرف النظر عن هذه الاختلافات فإن الزمن " مظهر وهمى يزمن الأحياء والأشياء فتتأثر بمضيه الوهمى غير المرئى وغير المحسوس المجرد ونفسى غير مادى يتجسد الوعى به من خلال ما يتسلط عليه بتأثيره الخفى غير الظاهر " (٣)

وقد أوضح د /إحسان عباس بعض الحقائق عن الزمن وهى :

"١ـ أن هناك فرقاً فى تصور الزمن بين الجماعات البدائية وبين الجماعات التى تعيش فى ظل الحضارة ، فالزمن للبدائي (ميثولوجى) أو شعائرى أى إنه ربما كان منعدما أما الزمن بالنسبة للمتحضر فإنه تاريخى ، لأنه شىء يمكن قياسه والتعامل معه.

٢. أن هناك فرقاً فى تصور الزمن بين الحضارات القديمة والحضارة الأوربية الحديثة ، فالحضارات القديمة تستطيع التغاضى عن الزمن ، بينما تصر الحضارة الأوربية على وجوده وتربط الثقافة والحياة به ربطاً محكما بها.....

(١) لسان العرب لابن منظور ١٩٩/٣ دار صار بيروت الطبعة الأولى ، والقاموس المحيط للفيروزبادى ٢٣٢/٤ مادة (زمن) طبعة دار الحديث بالقاهرة.

(٢) من طليعة البحوث الفلسفية التى ناقشت الزمن بحوث[هيد جرد برجسون] (يراجع كتاب: اتجاهات الشعر العربى المعاصر د/ إحسان عباس ص ٦٧ سلسلة عالم المعرفة فبراير سنة ١٩٧٨م)

(٣) فى نظرية الرواية.بحث فى تقنيات السرد.د/عبدالملك مرتاض ص ٢٦ دار الغرب للنشر والتوزيع.

٣. أن الزمن ظل حتى مطلع هذا القرن يقف فى أحد اعتبارين : فإما هو حقيقة واقعية خارجية ، وإما هو حقيقة ذاتية يتضاءل وجوده الخارجى المستقل ، ولكن فى سنة ١٩٠٨م صرح العالم الرياضى [هرمان منكوسكى] بقوله: بعد اليوم يتضاءل الزمن وحده او المسافة وحدها ولن يحفظ عليهما وجودهما إلا نوع من الوحدة بينهما.

٤.أنه مهما يبلغ الإنسان من تطور فلابد أن يظل الصراع مستمراً بين زمن تاريخى واقعى ، وزمن لا نهائى يسمى الخلود ، أو على الأقل نوع من الانبعاث المتجدد حتى يبلغ الإنسان مرحلة يعتبر الموت فيها جزءاً من الحياة "[١]

أما عن الزمن فى المفهوم الأدبى الروائى أو المسرحى ، فهو صيرورة الأحداث الروائية المتتابعة وفق منظومة لغوية معينة تعتمد على الترتيب والتتابع والتواتر والدلالة الزمنية ، بغية التعبير عن الواقع الحياتى المعيش وفق الزمن الواقعى أو السيكولوجى أو الفلسفى "[٢]

فالزمن هنا يعنى التتابع فى الأحداث بما يوازى الواقع الحياتى ؛ لذا لابد أن يكون منطقياً فى عرضه ومن ثم فى قبوله ، ويلاحظ أن هذا التعريف . رغم أنه يجعل الزمن الروائى أو المسرحى موازياً للواقع ، إلا أنه لا يحدد أبعاداً جازمة لزمن محدد أو مقيد ، فيتسم بالتمدد والاتساع مما يجعل الكاتب المسرحى يلجأ إلى التخطى بالحدث ربما لسنوات طويلة ، وهذا ما سنشاهده فى الدراسة لمسرح الحكيم حول الزمن.

(١) اتجاهات الشعر العربى المعاصر د/ إحسان عباس ص ٦٨ سلسلة عالم المعرفة فبراير سنة ١٩٧٨ م)

(٢) بناء الزمن فى الرواية المعاصرة د/ مراد عبد الرحمن مبروك ص ١٠ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٨م.

وللزمن أهمية كبيرة فى العمل الأدبى ،" فكلما زادت خبرة الكاتب فى الحياة ازداد وعيه بالزمان ، وينعكس ذلك بدوره على حياته الأدبية والفكرية فالزمن كامن فى وعى كل إنسان غير أن كمونه فى وعى الكاتب أشد ، ولا سيما كاتب تيار الوعى لاعتماده على الزمنين الأدبى والنفسى وعلى تجسيد الحالات الشعورية للشخصية " (١)

من هنا يمكن القول بأن الأديب يملك القدرة على تطويع الزمن الماضى لرؤية عصرية بما يلقيه فيه من إسقاطات حيوية واقعية أو فكرية " فتختلف نظرة الأدباء والمفكرين إلى الماضى اختلاف بصمات الأصابع ، لكنهم يتفقون جميعا فى أنه طاقة كامنة فى كيان الإنسان وفى كيان المجتمع على حد سواء ، ويمكن أن تصبح طاقة سلبية مدمرة أو قوة إيجابية مثمرة ، هى فى النهاية من صنع الإنسان وليست حقيقة مطلقة لا تقبل التغيير أوالتبديل ، وكان الأدب أسبق من كل فروع المعرفة الإنسانية فى مساعدة الإنسان كى يكتشف الأبعاد الحقيقية للماضى " (٢)

إذن فالزمن كوحدة من وحدات العمل المسرحى الثلاث (الزمان والمكان والموضوع) أو كفكرة يوظفها المسرحى له قيمة كبيرة إذا ما استطاع الأديب أن يوجهها ويطوعها ، ورغم هذا فنظرة القدماء له غير نظرة المحدثين " فهو عنصر رئيس فى الرواية التقليدية وغير ذى شأن فى الرواية الجديدة " (٣)

هذا عن الزمن باعتباره أحد الوحدات الثلاث أما أن يكون الزمن فكرة ومحتوى وموضوع للنص المسرحى فهو تطور لابد أن يكون مصحوباً بهدف يحمل

(١) بناء الزمن فى الرواية المعاصرة د/ مراد عبد الرحمن مبروك ص ٥
(٢) موسوعة الفكر الأدبى د/ نبيل راغب ١٥٥/١ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٨م.
(٣) النظرية الأدبية ومصطلحاتها الحديثة.د/سمير حجازى ص ١٣٥ دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية.

قيمة إنسانية خاصة أن المسرح " يعالج العام ولا يعالج تفاصيل الحياة اليومية ، المسرح عبارة عن مشكلة أو قضية يرمى بها المؤلف إلى خشبة المسرح ويتركها تسير إلى نهايتها الحتمية بهبوط الستار إلى خشبة المسرح دون أن يقف عند التفاصيل الصغيرة كما يحدث فى الرواية ، وليس معنى ذلك أن ليس هناك تفاصيل ، وإنما يجب أن تظل هذه المشكلة أو القضية هى مركز الاهتمام الرئيسى فى المسرحية مثلها مثل نواة كبيرة حولها عوامل أخرى فرعية ، ولا بد أن تكون النواة قوية والعوامل التى تلتف حولها وتغذيها أصغر منها بكثير فالعام فى المسرح أهم بكثير من الخاص فالمسرح فى اعتقادى فن تركيبى وليس فنا تحليلياً "(١)

وهكذا نرى الزمن كقضية إنسانية يصلح فى إطاره العام أن يكون موضوعاً مسرحياً ، وهذا ما تناوله توفيق الحكيم فى بعض مسرحياته ذات الطابع الذهنى ، وهو مسرح يميل إلى تجسيد المعانى وجعل أبطال مسرحياته معانى تتحرك فى الذهن قبل أن تتحرك فى الواقع على خشبة المسرح ، فالحكيم يعرف المسرح الذهنى فى مقدمة مسرحية [بيجماليون] فيقول : " ولكنى أقيم اليوم مسرحى داخل الذهن وأجعل الممثلين أفكاراً تتحرك فى المطلق من المعانى مرتدية أثواب الرموز " (٢)

وقد كتب عددا من المسرحيات ذات الطابع الذهنى وهى (أهل الكهف)و(شهرزاد) و(بيجماليون)، ولأن هذه الأعمال ذات طابع ذهنى عميق فقد كان الحكيم يعتقد أن تمثيلها عبث وأن دلالتها العقلية الذهنية الباطنية أعمق بكثير من أن تجسد فى شخصيات ، فهو يرى أنها لا تصلح للتمثيل على الوجه الذى ألفه

(١) دراسات فى الأدب د. محمد أحمد العزب ص ١٩١ مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية القاهرة ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م

(٢) بجماليون.توفيق الحكيم.ص ١٢ دار مصر للطباعة والنشر. الناشر مكتبة مصر

أغلب الناس ، فهذا النوع من المسرحيات تتسع فيها الهوة بينها وبين خشبة المسرح.

وسوف يتناول البحث الزمن باعتباره صورة من صور المسرح الذهنى عند الحكيم.

الفصل الأول

صراع الزمن فى مسرح الحكيم

قراءة فى المضمون

كتب توفيق الحكيم [١] عدداً كبيراً من المسرحيات وظف فيها التاريخ والموروث الدينى كمادة ثرية للتعبير عن آرائه وأفكاره كما جاء فى (أهل الكهف) و(شهرزاد) ، كما استطاع أن يوظف الواقع الاجتماعى بما يحويه من عادات وتقاليد وقيم بعضها سلبى وآخر إيجابى وذلك فى (مسرح المجتمع) الذى تضمن إحدى وعشرين مسرحية ، وكذلك وظف الخيال ليكشف عن مخاطر تحوط البشرية بعدما اندفعت عجلة التقدم تدهس القيم الروحية ، كما هو الحال فى مسرحية (رحلة إلى الغد).

وقد كانت قضية صراع الإنسان مع الزمن من أول الأفكار التى راودت عقل الحكيم ، فقد صحبت هذه الفكرة بداية إبداعه الأدبى فى مسرحية (أهل الكهف)

(١) هو : توفيق إسماعيل الحكيم ولد فى الاسكندرية عام ١٩٠٣م لأب مصرى وأم تركية ، وعاش طفولته فى دمنهور بالبحيرة ، والتحق بمدرسة دمنهور الابتدائية ، وتخرج منها عام ١٩١٦م ثم سافر إلى القاهرة والتحق بمدرسة محمد على الثانوية ثم التحق بمدرسة الحقوق وتخرج منها عام ١٩٢٥م ثم سافر إلى باريس لدراسة القانون ولكنه انصرف عنه لدراسة الأدب والمسرح ثم عاد إلى القاهرة عام ١٩٢٨م والتحق بالقضاء المصرى فى وظيفة نائب عام وظل يعمل به من عام ١٩٢٩م حتى عام ١٩٣٤م ثم ترك القضاء وعمل مديراً للإرشاد الاجتماعى حتى عام ١٩٤٤ ثم استقال من العمل الحكومى ليعمل فى أخبار اليوم ثم عاد مرة أخرى للعمل الحكومى مديراً لدار الكتب عام ١٩٥١م وقد انتقل بعد أن أحيل للمعاش إلى جريدة الأهرام عضواً بمجلس الإدارة، وتوفى فى ٢٦/يوليو /١٩٨٧م. يراجع : توفيق الحكيم وأسطورة الحضارة د/ ناجى نجيب ص ١٩ دار الهلال مايو ١٩٧٨م ،ويراجع: أحاديث فى الأدب ، رشيد الذوادى ص ١١طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٦م ويراجع: عصفور من الشرق توفيق الحكيم ص ٢٢١طبعة الدار المصرية اللبنانية القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

وهى وإن كانت تدور فى إطار تاريخى إلا أنها تتناول صراع الإنسان مع الزمن ، وهل الزمن حقيقة أم شىء اخترعه عقل الإنسان ؟ وقد كتبها عام ١٩٣٢م ، ثم عاد مرة أخرى إلى هذه القضية . الزمن . فى مسرحية (لو عرف الشباب) ، وقد غير اسمها . حين مثلت على خشبة المسرح القومى . إلى (عودة الشباب) وقد نشرت ضمن مجموعة مسرحيات بعنوان (مسرح المجتمع) كما نشرت بعنوان لو عرف الشباب مع مسرحيتين فقط من مسرحيات (مسرح المجتمع) ، وكان قد كتبها عام ١٩٥١م ، ثم عاد مرة أخرى للزمن وصراعه مع الإنسان معتمدا على المستقبل فى مسرحية (رحلة إلى الغد) وسوف يحاول البحث أن يكشف عن معالجة الحكيم لقضية صراع الإنسان مع الزمن من خلال المسرحيات الثلاث ، ومواطن الاتفاق والاختلاف بينها.

المبحث الأول

صراع الزمن فى أهل الكهف

كتب توفيق الحكيم مسرحية أهل الكهف فى أربعة فصول معتمدا على الموروث الدينى الإسلامى ، ولم يستهلها بتعريف شخصياته وبيان موقع كل منها من الآخر ، وإنما بدأها بقوله تعالى :﴿ فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا * ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا ﴾ الكهف (١٢/١١) وهو فى هذه المسرحية يلتقط الخيط العام والإطار القصصى الكلى الذى نسجه القرآن الكريم دون النظر إلى تفاصيل يرويها التاريخ أو الأديان الأخرى حول أهل الكهف الذين ناموا ثلاثمائة عام ، وإنما ترك لنفسه الحرية فى اختلاق أحداث لا يعرف عنها التاريخ شيئاً ، بل إنه اختلق شخصيات لم يرد ذكرها فى القصة ، " فالتشبث بحرفية التاريخ قيد ينبغى

ألا يخضع له المؤلف المسرحى الذى يحب أن يكون طليق العقل حر التفكير إلى قدر مستطاع "[١]

ولكن هذه الحرية ليس معناها أن يلصق الأديب شخصية غير متخيل وجودها فى هذه البيئة ، وكذلك لا يجعل الشخصية تتصرف تصرفاً يكون مخالفا لطبيعتها العامة ،

وقد اعتمد على تفسير النسفى فى أسماء الشخصيات ، واقتصر على ثلاث شخصيات فقط دون أن يجعلهم خمس أو سبع كما نص القرآن فى الخلاف حول عددهم ؛لأن هذه الشخصيات الثلاثة كفيلة بأن تقدم رؤيته العامة وفكرته المسرحية حول الزمن.

تبدأ المسرحية فى الفصل الأول فى كهف خافت الضوء يجلس فيه ثلاثة رجال هم : مرنوش ومشلينيا وزيرا الملك دقيانوس الطاغية الظالم الذى أقام المذابح للموحدين وقتل منهم الآلاف فى مدينة طرسوس وثالثهم يمليخا الراعى الذى ترك غنمه ، ويبدأ كل واحد منهم يتذكر أهله ومن يُخشى عليه من المذبحة ، فنرى مرنوش يتذكر ولده وزوجته التى تركها فلاشك أنهما الآن فى خطر شديد ، ولكن ما يهدىء روعه أن مكان بيته مجهول لا يعلمه أحد إلا مشلينيا الذى يحترق شوقا لمحبوبته بريسكا ابنة دقيانوس ، فقد علم الملك بأمرهما وأنهما موحدان ، وذلك بعدما أرسل لها رسالة يقول فيها ما يكشف عن أمره وأمرها وأمر مرنوش أيضا ، أما يمليخا فهو الراعى الذى دخل الإيمان قلبه يوم أن رأى راهبا يجلس مع بعض خلصائه ويحدثهم حديثا أدرك قلب يمليخا نوره قبل أن يدركه عقله فاعتنق المسيحية ، لذا بدا فى ثوب العابد المؤمن أكثر من صاحبيه فقد ظهرا فى صورة تمتلئ

(١) ماذا قالوا عن أهل الكهف د. رمسيس عوض ص ٦٢ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٦م

بالضجر والضيق والنقمة من تهورمشلينيا حين أرسل الرسالة مما أدى بهما إلى النوم فى هذا الكهف.

والحقيقة أن هذا وصف لا يتفق من طبيعة وعقلية الشخصيات ، وقد قال فيهم رب العزة تبارك وتعالى ، ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ الكهف ١٣ وأعتقد أن الحكيم لجأ إلى هذا الإضفاء الدرامى على الشخصيات ، حتى يعطيها قيماً إنسانية تتفق مع بشريتهم ، فأراد أن يقول إنهم بشر تؤثر فيهم الحياة وملذاتها ، لذا جعل مرنوش يشتاق لولده وزوجه ، ومشلينا يدفعه الشوق لأن يخرج من الكهف ليقابل بريسكا ، أما يمليخا فلم يكن له من يقلق عليهم :

مرنوش : هل لك أهل يا يمليخا ؟

يمليخا : ليس لى إلا قطمير.

مشلينيا : من هو قطمير ؟

يمليخا :(يشير إلى الكلب) **كلبى هذا.**

مرنوش : أنت إذن أسعد حالا منا. (١)

فالمشهد يرسم أثر الحياة عليهما ومدى تعلقهم بها ، ولأن مشلينيا لا يتعلق بسبب من الحياة لذا فهو أسعد حالا فى رأيهم ، ومع ذلك نرى الحكيم يرسم مرنوش ومشلينيا فى صورة يغلب عليها ضعف الإيمان ، فيقول مرنوش معلقاً على حديث يمليخا الذى ظهرت فيه النورانية :

مرنوش :(فى شبه تهكم) **وأنت ماذا فهمت منه ؟.**

مشلينيا : فهمت أننا بعيدان عن الله ، وأن قلبينا مشغولان بغير الله.

مرنوش : وأى بأس فى ذلك ؟

(١) أهل الكهف(مسرحية).توفيق الحكيم ص ١٣طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة سنة ١٩٩٨م

يمليخا : (مستنكرا) **اللهم رحماك.**(ينهض) . [١]

وأعتقد أن الحكيم أظهر مرنوش ومشلينيا على هذه الصورة تمهيداً للأحداث التى تأتى بعد فى المسرحية ، وليصور مدى تمسك كل واحد منهما بالحياة وبـ(الزمن) ومدى تقبلهم العقلى للحياة الجديدة التى تنتظرهما ، فلكل واحد منهما سبب يربطه بالحياة ويعلقه بها ،وقوة هذا السبب أو ضعفه تجعل أحدهما أبطأ من الآخر فى الرحيل.

ويدور الحديث بين الثلاثة فى غفلة منهم لتقدير الزمن ، رغم وجود تبعات هذا الزمن الشكلية عليهم من استطالة الشعر والأظافر وآلام عظامهم الراقدة ثلاثمائة عام ، ثم يدفعهم الجوع إلى أن يبعثوا يمليخا . الراعى . فى حذر ليأتيهم بطعام وهنا يبدأ التصادم بالزمن فحين خرج يمليخا رأى صيادا فى ثياب غريبة ، وما أن عرض عليه شراء بعض صيده ورأى الصياد النقود حتى فزع ، ولم يلبث أن فر هاربا بعدما تمتم باسم دقيانوس وبكلمة (كنز) ثم يعود يمليخا إلى الكهف فزعا وقد لاحظ تغير معالم الحياة فيقول :

يمليخا :لعلنا مكثنا هنا شهراً.

مرنوش : ويحك ! شهراً؟ وأين كنا طول هذه المدة ؟

يمليخا : كنا نياماً.

مرنوش : أهذا كلام عاقل ؟

يمليخا : ولم لا ؟ إنى سمعت من جدتى ووالدتى وأنا صغير أن راعياً اعتصم بغار من سيل هائل وكان مؤمناً بالله والمسيح فنام شهراً حتى انقطع السيل فصحا وخرج سالماً كما دخل دون أن يشعر بالزمن.

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص٢٢

مرنوش : تلك أساطير عجائز [١]

ثم تبدا الضجة خارج الكهف ويخرجون جميعا من الكهف ويفصلهم ثلاثمائة عام عن حياتهم فبدوا فى صورة مرعبة لمن يراهم ،حتى أخذ الناس يرددون أشباحا موتى.

وهكذا ينتهى الفصل الأول وقد ظهر تصور كل واحد منهم للزمن ، وتمثل ذلك فى قصة الراعى المعتصم بغار من السيل التى رواها يمليخا ، فقد اعتبرها يمليخا ممكنة الحدوث لأنها إردة الله والمسيح ، وقد عزز رأيه بدلائل عقلية تتمثل فى رطوبة الغار، وأن الشهر ممطر، بينما اعتبر مرنوش هذه القصة أساطير العجائز البلهاء ، وهذا لاشك سيعكس تصور كل واحد منهم للزمن ومدى تقبلهم للحياة ، فيمليخا يتعلق بهدف إيمانى ، أما مرنوش ومشلينيا فهما متعلقان بأشخاص ، وسوف نرى . بعد . مدى تحملهم . فى ظلال هذه النوازع النفسية . لصراع الزمن.

ثم يبدأ الفصل الثانى فى قصر الملك (تيودوس) الملك الصالح الذى ظهر أهل الكهف فى عصره ، وهو نفسه قصر دقيانوس ،ويظهر بهو الأعمدة الذى كان يجمع بريسكا ومشلينيا ، ويقف فى بهو الأعمدة اليوم غالياس مؤدب الأميرة بريسكا سمية بريسكا الجدة التى تنبأ لها العراف يوم مولدها بأنها تشبه جدتها خلقا وإيمانا ، وتلبس بريسكا الحفيدة صليباً ذهبيا هو من مخلفات جدتها بريسكا محبوبة مشلينيا ابنة دقيانوس التى ماتت عذراء وفية لحبيبها مشلينيا [٢].

---

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص٣٦/٣٧

(٢) وقع الحكيم هنا فى خطأ درامى ، حيث جعل بريسكا الأولى جدة لبريسكا الثانية، فيقول غالياس لبريسكا الثانية :أتوسل إليك ألا تتهكمى على جدتك العظيمة أهل الكهف ص٤٥، فى حين أن بريسكا الأولى لم تتزوج وماتت عذراء ، ولعل الحكيم اعتبرها جدتها لأنها تشبهها خلقا وإيمانا.

وتناقش بريسكا مؤدبها حول ما شاع فى المدينة من أمر الأشباح الذين ظهروا فى كهف الرقيم ويؤكد أنهم هم الأمير مرنوش ومشلينيا والراعى يمليخا ثم يقص خبر هروبهم من مذبحة دقيانوس ، وقد جعل خبر هروبهم وكذلك عودتهم أمراً طبيعياً لا غرابة فيه ، فنرى غالياس يقول :

غالياس : ثلاثة رابعهم كلبهم ! مولاى أممكن أن يكونوا هم ؟

الملك : من هم ؟

غالياس : (كمن يخاطب نفسه) **نعم نعم.. ثلاثة رابعهم كلبهم.**

بريسكا : من هم يا غالياس ؟

غالياس : ألم أحدثك يا مولاتى فيما حدثتك عن تاريخ عصر الشهداء ، أن فتية من أشراف الروم هربوا بدينهم من دقيانوس ولم يظهروا ولم يُعلم عنهم شىء ، وقد لبث معاصروهم ينتظرون أوبتهم وينشئون عنهم الأساطير مؤكدين عودتهم.. وقد قرأت كتباً قديمة تتنبأ بيوم يظهرون فيه.(١)

ثم يذكرهم بعد ذلك بأسمائهم قائلاً :

غالياس : صحيح يا مولاى هم.. هم.. ثلاثة رابعهم كلبهم : القديس مرنوش ، والقديس مشلينيا ، والقديس يمليخا ، والكلب قطمير ، كما جاء فى كتاب الراهبين (٢)

فغالياس المؤدب قبل أن يشاهدهم ويسمع حديثهم ، أو يتحرى من صحة رواية الصياد ، أو غير ذلك ، يقرر أنهم أهل الكهف الذين فروا من دقيانوس ، فاعتبار الزمن فى تصور غالياس ومرور ثلاثمائة عام لا أثر له فى تصوره ، ولم

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص٤٧/٤٨

(٢) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٤٩

يتعجب أو يندهش لظهورهم ، بخلاف الملك وبريسكا فقد اندهشا بل وأصابهم الرعب والفزع لرؤية أهل الكهف، وهذا صدى لتاثر الحكيم بالقرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿أم حسبت أن أهل الكهف والرقيم كانوا من آيتنا عجبا ﴾الكهف٩ والحكيم يقصد هدفاً مسرحياً لا يتعارض مع النص القرآنى الذى يسعى إلى تأكيد حقيقة البعث ﴿وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق ﴾الكهف٢١ ، وهى أن الزمن أثار الدهشة فى نفس الملك وبريسكا وكذلك الصياد الذى يمثل المجتمع ، ولكن هذه الدهشة تقف عند حد واحد وتبقى المشكلة الأكبر وهى كيف لهؤلاء الأشخاص أن يعيشوا فى حياة غير حياتهم ، وأن يحيوا حياة لا تمت لهم بصلة ، وهنا يأتى صراع الأجيال، حتى وإن حقق الأبناء ما كان يسعى لتحقيقه الأباء.

ويحاول الحكيم أن يظهر الهدف القرآنى بوضوح حين يحاول غالياس أن يقنع الملك بإمكانية رجوع من اختفوا فيقول :

الملك : إذن لا ريب عند الناس فى أن من ذهب سوف يعود ؟!

غالياس : نعم يا مولاى ومن مات سوف يبعث ، تلك قصة البشرية الخالدة ، وإن كانت القصة ضمير الشعب كما يقولون ، وإن كانت البشرية قاطبة على اختلاف أجناسها أديانها قد اتحدت وتلاقت فى قصة واحدة ، أفيمكن يا مولاى لضمير البشرية قاطبة أن يخطىء؟! (١)

فها هو الحكيم يعطينا دليلاً عقلياً من الدين والتاريخ لإمكانية البعث ﴿وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق﴾الكهف ٢١

فتوفيق الحكيم يعالج قضية الزمن من زاويتين : الأولى زاية أصحاب الكهف أنفسهم ، والثانية زاوية الملك وأهل طرسوس ، وسرعان ما تنتهى إشكالية اختلاف

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٥٣

الزمن سريعاً فى تصور أهل طرسوس بقبولهم عودة من اختفوا حتى ولو بعد مئات السنين ، أما أصحاب الكهف وهم من يمثلون رؤية الحكيم فى استحالة اتحاد الإنسان بين زمانين مختلفين ، قد كان أثر الزمن مختلفاً عليهم وكان أكثر تعقيداً والتواء ، يصور الحكيم هذا الأثر فى أول مشهد يطل فيه أهل الكهف على القصر وبهو الأعمدة الذى لم يتغير ، فيقول :

مشلينيا : (صائحاً فى الخارج) **لم يتغير شىء يا يمليخا! ها هو بهو الأعمدة كما تركناه أمس.**

مرنوش : نعم بهو الأعمدة لم يتغير.

يمليخا : (فى صوت كالعويل) **كل شىء تغير ، كل شىء تغير**.(ثم يظهرون بشعورهم المدلاة ولحاهم الطويلة وثيابهم القديمة يحيط بهم رجال القصر وجنود الملك)

بريسكا : (لا تكاد تراهم حتى تصيح صيحة مكتومة وتتمسك بأهداب غالياس) **رباه !**

مشلينيا : (لا يكاد يرى الأميرة بريسكا حتى يصيح صيحة خافتة غير متمالك) **بريسكا!**

بريسكا : (فى رعب تحتمى بغالياس) **آه أسمعت لقد لفظ اسمى.**

غالياس : (همساً) **أرأيت؟ إنه قديس.** (الصياد يتقدم إلى الملك المأخوذ) .

الصياد : مولاى لقد أتينا بهم من الكهف ليفصل الملك بنفسه فى حقيقة أمرهم.

مرنوش : (غامزا مشلينيا وهامساً فى أذنه) **هذا ولاريب خليفة دقيانوس.**

مشلينيا : (لا يحس وجوداً غير وجود الأميرة) **بريسكا.**

بريسكا : (فى خوف) **إنه ينظر إلى نظرات غريبة.. غالياس ؟ لا أستطيع البقاء هاهنا.**(تجذب مؤدبها وتخرج معه من باب قريب دون أن يشعر بها أحد إلا مشلينيا وهو دهش كانه فى حلم)

الملك : (يتجلد ويتقدم إليهم قائلا فى صوت متغير بعض الشىء) **لقد نزلتم على الرحب أيها القديسون ، إننا قد انتظرناكم طويلا كما انتظركم من قبل أجدادنا وأجداد أجدادنا ، وإنه حقا لشرف عظيم أن....**

يمليخا :(الذى ما انفك يتأمل ما حواليه بأعين زائغة مرتاعة يهمس لمرنوش) **أنظر إلى ملابس هذا الملك وهؤلاء الجند ، فى أى بلد نحن؟!**

الملك : (يستطرد) **نعم إنه لشرف عظيم أن تخصونى بهذا الفخر وتظهروا فى عصرى دون عصور أجدادى المسيحين.**

يمليخا : (هامساً فى دهشة لمرنوش) **هذا الملك مسيحى !!** (١)

فهذا الحوار كشف فيه الحكيم عن عقلية كل شخصية وأهوائها وإيمانها وإقبالها على الحياة ، فمشلينيا لايرى هذا الزمن إلا طرفة عين لم يتغير شىء القصر وبهو الأعمدة ومحبوبته ، ومرنوش يصدق كلامه ، لكن يمليخا لايرى شيئاً من حياته القديمة لذا كان أولهم وأكثرهم ملاحظة لتغير ملابس الملك ومَنْ حوله لذا طرأ على ذهنه تبدل المكان فقال : فى أى بلد نحن ؟ وإنكار يمليخا لهذه الأشياء يدل على أنه لاحظ اختلافا عن الحياة التى يعرفها قبل نومة الكهف من ملابس الناس ، لكنه لم يهتم بالقصر ولا ببهو الأعمدةلأنه لا يعرف هذا البهو والقصر من قبل فلا جدوى من إداراكه لملامح التغيير بين اليوم والأمس ، وقد اختلق الحكيم شخصية بريسكا لانها تمثل صورة رمزية يقصد من خلالها أن يعطينا صورة وهمية

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٥٥/٥٦/٥٧

للحياة التى قد يوهم ظاهرها عدم التغيير وأنها لم تتبدل ، فالقصر هو نفسه القصر والبهو هو نفسه وبريسكا هى نفسها وصليبها الذهبى مازال فى عنقها ، ورغم هذا فهناك اختلاف أيضا لاحظه يمليخا ولاحظه مرنوش فى وجود هذا الرجل الملك، وإن كان يمليخا بحث عن مبرر وهو اختلاف المكان ، فإن مرنوش يرى هذا الملك خليفة دقيانوس وكأن دقيانوس قد قُضى عليه فى شهر أو أقل ناموه فى الكهف ، وإذا كان مشلينيا يتابع بنظراته بريسكا ، ومرنوش يتابع الملك وأمر ملكه ، فإن يمليخا لا يعنيه إلا أنه مسيحى ، ولا شك أن هذه بداية قد تجعل أوبتهم للحياة أجمل ، خاصة وانهم بدأوا يسيرون إلى غايتهم دون خوف من الطاغية دقيانوس ومذابحه ، لذا بدأوا جميعا يتصرفون دون وجود فاصل زمنى ، فيمليخا يستأذن متعللاً بغنمه التى تركها ترعى فى الجبل ، مرنوش أسرع فى شوق إلى زوجه وابنه وداره التى أخفى أمرها ، ومشلينيا يتصور أن بريسكا انصرفت عنه لإنكارها لحالته الرثة ، وحين يطلب مرنوش ومشلينيا أن يتزينا ويلبسا ثيابا جديدة ، يظهر أثر الزمن والفجوة الزمنية فينكر الناس هذا الطلب منهما ويعتقدون أنهما مجنونان :

الملك : أتصغى إلى يا غالياس؟

غالياس : بالطبع يا مولاى.

الملك : (همسا) **هؤلاء القديسون مجانين.**

غالياس : (يبهت) **مجانين ! اللهم غفرا؟ وأين ذهبوا يا مولاى ؟**

الملك : ذهب أحدهم إلى بيته.

غالياس : بيته ؟

الملك : هكذا قال لى ، والثانى إلى غنمه التى ترعى الكلأ.

غالياس : والثالث ؟

الملك : الثالث راح يحلق.. (لا يكاد المؤدب يفتح فاه عجبا حتى تسمع صيحات هلع نسائية خارج البهو)

غالياس : ماهذا ؟

الملك : هذا هو ثالثهم.. انطلق فى القصر على ما أرى يرعب من صادفه من حاشية ، أسرع إليه يا غالياس وقده إلى منزل الضيوف..(١)

فأهل الكهف يحاولون أن يتحدوا مع الزمن وكأنه لم يتغير ولكن هذا قد جعلهم يظهرون فى صورة المجانين ، وفى المقابل نرى أهل الكهف أنفسهم يعتبرون الناس من حولهم مجانين ، فحين يخاطب غالياس مرنوش فى إجلال وإعظام فيقول له أ يها القديس مما يجعل مرنوش يضيق ذرعا بهذا اللقب فيقول مرنوش : (لنفسه) أقسم بالمسيح أن هذا معتوه ، وهنا تتضح الفجوة الزمنية بصورة واضحة ، وهكذا نرى كل طرف ينظر إلى الآخر باعتباره مجنونا.

تم تبدأ الأزمة فى الاحتدام حين تندفع الأحداث إلى الأمام فيخرج يمليخا وهو من اسموه بالناسك لشدة تعلقه بالله عز وجل وبالآخرة ، وهو الذى لم يعن بملابسه ولا بهيئته بل اهتم بغنمه ، فخرج ليجد ثلاثمائة عام قد مضت فيصيبه الفزع سريعا فيعود مسرعا إلى صديقيه قائلا:

يمليخا : ادع مشلينيا على عجل! ولنذهب.. ولنذهب.
مرنوش : إلى أين نذهب ؟.
يمليخا : إلى الكهف. ثلاثتنا وقطمير معا كما كنا.
مرنوش : لماذا ؟ ماذا فعلت ؟ ماذا حدث ؟
يمليخا : إلى الكهف ،ثلاثتنا وقطمير معا كما كنا.
مرنوش : لماذا يا يمليخا ؟ أجب.
يمليخا : هذا العالم ليس عالمنا. هذا ليس عالمنا.
مرنوش : ماذا تعنى ؟
يمليخا : أتدرى كم لبثنا فى الكهف ؟

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٦١

مرنوش :أسبوعا(يمليخا يضحك ضحكات عصبية هائلة) **شهرا على حسابك الخرافى؟**

يمليخا : (على نحو مخيف) **مرنوش إنا موتى ، إنا أشباح !!**

مرنوش : ماهذا الكلام يا يمليخا ؟

يمليخا : ثلاثمائة عام! تخيل ثلاثمائة عام لبثناها فى الكهف !

مرنوش : مسكين أيها الفتى !

يمليخا : هذا الفتى عمره نيف وثلاثمائةعام : ماهذا ؟ لقد مات دقيانوس منذ ثلاثمائةعام ،وعالمنا باد منذ ثلاثة قرون.

مرنوش : عالمنا باد ؟ وأين نحن إذن ؟

يمليخا : هذا الذى نرى دنيا أخرى ليست لنا بها صلة. (١)

فيمليخا أدرك أنه غريب عن هذه الحياة فالناس يتبعونه أينما سار ويرقبونه فى حذر وخوف، وهو لم يستطع أن يخاطب أحدهم لأنه يوقن أنه لن يجد مجيباً ، فالناس تتعامل معه باعتباره كائن غريب لا يأكل ولا يشرب فكيف له أن يسكن بينهم ؟! حتى الكلب قطمير فكلاب المدينة تحوطه وتتشممه وكأنه كائن غريب ، هذا كله جعل يمليخا لايستطيع أن يعيش حياة لا تربطه بها صلة ، لكن صاحبيه لم يستطيعا أن يدركا هذا الأمر ؛ لذا نرى مرنوش يدعو يمليخا للهدوء فيقول :

مرنوش : ما الذى يخيفك من هؤلاء الناس يا يمليخا ؟ أليسوا بشر ؟ أليسوا من الروم ؟

يمليخا : كلا إنهم ناس لا يمكن أن نفهم من هم ولا يمكن أن يفهموا من نحن.

مرنوش : وما يضيرك ؟ تجنبهم وامكث بين أهلك.. (متذكرا) **ولكنك ذكرت لنا أن ليس لك أهل يا يمليخا.** (٢)

---

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٦٧/٦٨

(٢) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٦٩

فمرنوش كان أكثر ارتباطا بالحياة من يمليخا الذى لا أهل له ،فهو يرى أنه لا سبب قد يدعوه للارتباط بالحياه ، خاصة أن الناس أنكروه بصورة تجعله لا يستطيع أن يعيش بينهم ، فهو راع بدائي يفضل العزلة والانطواء، فكيف به وقد نزل بحياة يفصله عنها ثلاثمائة سنة ؛ لذا كانت صدمته شديدة عنيفة ففضل الهروب سريعاً واعتبر أن المكان الوحيد الذى يربطه بعالمه الماضى هو الكهف لذا دعاهم للإسراع إليه ، فهو الحلقة التى تصلهم بعالمهم المفقود ، فالناس بالنسبة لهم مخلوقات لا تمت لهم بصلة:

يمليخا : لقد سمعت الناس بأذنى تقول.. من هذه المخلوقات ؟ وأنت يا مرنوش أفهمت من هذه المخلوقات شيئا ؟. (١)

لذا رأينا يمليخا يكرر هذه الكلمة فى صورة هستيرية فلنذهب إلى عالمنا ، ولكن مرنوش ومشلينا لديهم أسباب أقوى تدعوهم للبقاء، [أسرة مرنوش ومحبوبة مشلينيا] ، الحب هو الذى يدفعهم للتمسك بهذا الزمن وهذه الحياة التى رأها يمليخا مزيفة فقال :

يمليخا : أما أنتما فأعميان ، أعماكما الحب ، فلا أستطيع بعد الآن أن أريكما ما أرى ابقيا ما شئتما فى هذا العالم ، لقد صرت وحيداً فيه وليس يربطنى إليه سبب ، ولئن كنتما لم تحسا بالهرم فإنى بدأت أحس بوقر ثلاثمائةعام ترزح تحتها نفسى ، الوداع يا إخوان الماضى ، اذكرا عهدنا الجميل ، عهد دقيانوس ، والآن أستودعكما الله هانئين بشباب قلبيكما فى حياتكما الجديدة (٢)

والعجيب أن يمليخا المؤمن الذى فر من مذبحة دقيانوس من الطبيعى أن يتطلع إلى حياة يسودها الإيمان فى ظلال ملك مسيحى ، وها قد تحقق أمله ولكن

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٧٠
(٢) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٨١

فى زمن غير زمنه ، ورغم هذا فقد كان رفضه واضحا ، واعتبر أن عهده الجميل هو عهد دقيانوس ، لأنه يرى نفسه غريباً عن هذه الحياة وهذا الزمن.

وبهذا ينتهى الفصل الثانى بعدما كشف الحكيم عن نقطة جوهرية فى صراع الزمن وهى هروب يمليخا من هذه الحياة فقد انهارت أول شخصية محورية فى المسرحية أمام سيف الزمن العنيد.

ثم يبدأ الفصل الثالث فى نفس المكان قصر الملك وبهو الأعمدة ومشلينيا ينتظر بريسكا ، وكان قد أرسل غالياس إليها يدعوها لمقابلته ، وفى مستهل هذا الفصل يبدأ صراع مشلينيا مع الزمن فغالياس يعتبره قديساً فيناديه قائلا أيها القديس ولكن مشلينيا لا يرى نفسه هكذا فيقول :

مشلينيا : (ضيق الذرع) **قلت لك دعنى من هذا القديس ، لا تنادنى به بعد الآن.. أتوسل إليك إنى لست قديساً أفاهم ؟.** (١)

وإنما يرى أنه محب يشتاق إلى محبوبته بريسكا ولقائها ، ويرى أن سبب بقائه فى الحياة هو حبه لبريسكا ، ويبدو أيضا صدام جديد بالزمن حين يرى نفورا وحذرا منه فى عين غالياس

مشلينيا : تعال يا غالياس ولنتفاهم إنى أراك تكتم عنى أمورا ، وتهابنى وتجعل بينى وبينك حاجزا أكثر مما ينبغى ، لم لا يفهم أحدنا الآخر؟ (٢)

وهو صدام مع الزمن أدركه مشلينا رغم طغيان نزعة الحب فى قلبه ،ثم يبدأ خيال مشلينا فى نسج صورة وهمية ، وهى أن هذه الفتاة هى بريسكا محبوبته وأن هذا الملك أتى من حيث لا يعلم ،وقضى على ملك دقيانوس، وخلص الناس من

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٨٣
(٢) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٨٦

شره ومذابحه ،وأن بريسكا تعيش فى ظلال عطف هذا الملك... ويظل مشلينيا فى خيالاته إلى أن يثور ثورة شديدة حين أخبره غالياس بأن بريسكا تجالس الملك فى مخدعه لتقرأ له بعض ما يسليه ، ويحاول غالياس أن يشرح لمشلينا الموقف ولكن دون جدوى فمشلينيا يتكلم فى الماضى وغالياس يتحدث فى الحاضر ،إلى أن يقول له مشلينيا :

غالياس : (يحث)أيها القديس إنها حافظة للعهد كجدتها القديسة.

مشلينيا : تشبه جدتها.. جدتها من؟

غالياس : بريسكا.. القديسة بريسكا.

مشلينيا : مسكين أيها الشيخ اذهب إلى فراشك فلا حاجة لى بك. (١)

ثم يخرج غالياس بعدما فشلا فى أن يتواصلا معا ، ويبقى مشلينيا ينتظر بريسكا وفى هذه الأثناء يدخل عليه مرنوش منزعجا باكيا ؛ ليخبر مشلينيا أن ابنه قد مات وأن داره تحولت إلى سوق للسلاح فيقول :

مرنوش : مات أهلى يا مشلينيا.

مشلينيا : لا تجزع. املك نفسك يا مرنوش. أقتلا فى المذبحة ؟

مرنوش : أية مذبحة ؟

مشلينيا : كيف ماتا إذن ؟

مرنوش : لست أعلم ؟

مشلينيا : ألم تسأل أحدا ؟

مرنوش : لا أحد يعلم.

مشلينيا : عجبا ! ومنزلك ، ألم تجد أثراً فى منزلك يدلك على شىء ؟

مرنوش : منزلى !! آه أين هو منزلى ؟!

مشلينيا : ألم تجد منزلك ؟

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٨٣

مرنوش : وجدت مكانه سوقاً للرماح والدروع.

مشلينيا : عجباً ومن أخبرك إذن بموت ابنك ؟

مرنوش : متسول هرم بالسوق. (١)

ويظل الحوار بينهما بما يكشف عن تعرف مرنوش على قبر ابنه المتهدم بعدما هداه إليه هذا الشيخ الهرم ، فيكتشف أن ابنه مات فى سن الستين بعدما جلب النصر لجيوش الروم ، وهنا يكتشف مرنوش فجوة الزمن السحيقة ، وهى مرور ثلاثمائة سنة ، فيقول له مشلينيا :

مشلينيا : تريد أن تزعم أنت يا مرنوش ما زعم يمليخا بالأمس. (٢)

فمشلينيا يرفض هذا الكلام ويعده جنونا ، كما عده بالأمس مرنوش نفسه حين سمعه من يمليخا ، وهذا يؤكد على فكرة صراع الزمن التى رسمها الحكيم هذه المرة فى صورة مرنوش الذى اعتبر أن الحياة فى زمن غير زمنه شيئاً مستحيلا ، لذا سيطر عليهم الإحساس بالحنون ، وتمثل هذا فى تضارب أفكار مرنوش فيبكى على موت ابنه الصغير الذى يحمل له الهدايا ، وهو يقف على قبره المتهدم وكان قد مات فى الستين من عمره ،فيقول :

مرنوش : مات قبل أن يفرح بهديتى التى كنت أحملها إليه مع العبد.

مشلينيا : إيها المسكين إنه لم يمت البارحة ، بل مات شيخاً هرما ، بعد أن قضى حياة طويلة كلها سعادة وفخار.

مرنوش : ولدى الصغير مات شيخا هرما ؟!.. (٣)

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٩٢

(٢) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٩٣

(٣) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٩٤

ويظل كل واحد منهما يقدم مبررات خضوعه للزمن أو تحديه له ، فمشلينيا مازال يرى بريسكا ، ومرنوش فقد ابنه منذ أمد بعيد إلى أن يحسم مرنوش هذا الصراع حين يقول له مشلينيا : ما فائدة بكاء ولدك الآن ؟ فيقول :

مرنوش : لست أبكى ولدى أيها الأحمق ،

مشلينيا : إذن ما بكاؤك هذا؟

مرنوش : عذاب..عذاب آخر لا تفهمه أنت.. ياربى لماذا تركتنى فريسة للعقل ! ثلاثمائة عام. ابنى فى سن الستين وأنا فتى أمامى النضوج والحياة.(١)

وهنا تندفع المسرحية إلى الأمام حين يقرر مرنوش أن يترك هذه الحياة التى لا يرى فيها سببا يربطه بها ، فقد انقطعت كل الصلات بينه وبين زمنه ، أما مرنوش فقد كانت بريسكا هى الامل أمامه ، فحاول أن يتكيف مع الزمن ، فيزعم أن هذه السنوات مجرد أرقام لا تساوى شيئاً ، والواقع جدير بأن يتحدى أى فجوة زمنية ، وواقع مشلينيا هو حبه وعشقه لبريسكا سمية وشبيهة بريسكا الجدة محبوبته ، فيكتشف مرنوش الحقيقة الزمنية قائلاً:

مرنوش : إن الحياة المطلقة المجردة من كل ماض ومن كل صلة وعن كل سبب لهى أقل من العدم ، بل ليس هناك قط عدم ، ما العدم إلا حياة مطلقة.....كنت أعيش حياة لها صلة وسبب ، وهو القلب والقلب لا يخضع لناموس الزمن فما كانت عندى مئات الأعوام إلا كلمات وأرقام.

مشلينيا : واليوم إذن ؟

مرنوش : مات.

مشلينيا : من ؟ ماذا ؟

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٩٩

مرنوش : (مستمرا) **ولم يبق لى إلا العقل فها أنا ذا للعقل وحده ، وهاهو ذا يعيدنى إلى عالمه عالم الزمان والمكان.**

مشلينيا : لست أفهم ؟

مرنوش : نعم مع الأسف لست تفهم هذا الآن. (١)

وهكذا نرى مرنوش يدرك قيمة الزمن ، وهو يجد العذر لصاحبه الذى لم يدرك ذلك حتى الآن ، ولن يدركها الا بعد أن يصطدم بزمنه ، لذا فمشلينيا يستوقفه قائلا :

مشلينيا :مرنوش. لن تذهب قبل أن تقول لى.

مرنوش : لقد قالها يمليخا.

مشلينيا : ماذا ؟

مرنوش : إنا أشباح.. إنا الآن لسنا ملك الزمن.

مشلينيا : (فى تفكر وشىء من الارتجاف) **مرنوش !**

مرنوش : إنا ملك التاريخ ولقد هربنا من التاريخ ، لننزل عائدين إلى الزمن ، فالتاريخ ينتقم..الوداع يا مشلينيا.. (٢)

وهنا يحسم مرنوش موقفه من الزمن ويعطينا صورة أخرى للنفس الإنسانية فى صراعها مع الزمن ، فإذا كان يمليخا يقدم نموذج المتدين ، فإن مرنوش يقدم نموذج الزوج المحب لاسرته ، وكلاهما لم يستطع أن يقف فى وجه الزمن.

أما النموذج الثالث فقد وقف ينتظر محبوبته فى بهو الأعمدة ولكن بريسكا الحفيدة تنكر هذا الرجل الذى ما تزال تراه من الموتى ، فيبدو لمشلينيا منها نفورا حتى إنها قالت له : أأنت تعرفنى إذن؟ ويظل مشلينا مستميتا أن يذكرها بسالف عهدهما وأيام حبهما ،ولكنها تنظر إليه كأنه بطل من أبطال روايات الإغريق،

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ١٠١

(٢) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ١٠٢

ويظلا على هذه الحاله فلا هى تقترب من زمانه ولا هو يستطيع أن يتواصل مع زمانها ،إلى أن تأخذه الريبة فى شخصها رغم أنه يرى الصليب فى عنقها ، فيقول لها ألست ابنة دقيانوس فتقول:

بريسكا : أأنت مجنون أأكون ابنة ملك مات منذ ثلاثمائة عام (١)

ثم تروى له قصة بريسكا وأنها ماتت وفية للعهد ، وهنا تنزل الصدمة شديدة على قلبه فيسأل ما هى الثلاثمائة عام ؟ وماهى البراهين التى قد تثبت لى أنك لست بريسكا حبيبتى ؟ وما هذا الويل الرهيب الذى يتربص بى ؟ وهنا يكتشف الحقيقة كما اكتشفها صاحبيه فيقول :

مشلينيا :إلى يا مرنوش يا يمليخا.. إنا لا نصلح للحياة إنا لانصلح للزمن ، ليست لنا عقول ، لا نصلح للزمن. (٢)

وهكذا يعترف مشلينيا بانهياره أمام سطوة الزمن ،لذا فقد فر إلى الكهف الذى يمثل له آخر صورة من حياتهم ، وقد كان بإمكان الحكيم أن ينهمى المسرحية عند هذا الحد ولكنه أراد أن يخلق رمزا معنويا من خلال شخصية بريسكا وهى رمز الحب والحياة وهى الشىء الوحيد الذى امتد ظاهريا ثلاثمائة عام، إنها رمز للحياة التى ظلت معلقة بالنسبة لأهل الكهف ؛ لذا كانت نهايتهم مرتبطة بهذه الفتاة ،فبريسكا هى الروح التى دخلت معهم الكهف لتعلن موتهم جسدا وروحا ، إن بريسكا تمثل عاملا قويا يجعل أصحاب الكهف أو على الأقل مشلينيا يتحدى الزمن ، لكن فى الحقيقة هى ليست ذاك العنصر الذى يدعو للتحدى إنه عنصر مزيف لما كان يعرفه مشلينيا من قبل ، ويدخل الفتية الكهف وتتبعهم بريسكا وقد مضى شهر على دخولهم الكهف ، وقد أخذ كل واحد منهم يبرر ما رآه خارج الكهف بأنه كان حلما ،فمشلينيا فيقول :

---

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ١١٧

(٢) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ١٢٣

مشلينيا :ينبغى أن نخرج من هذا المكان ، فقد حلمت أحلاماً مزعجة. (١)

ثم يبدأ كل واحد يعرض مأساته ويتعجبون كيف يحلمون حلما واحداً:

مرنوش : مشلينيا. أيمكن أن نحلم جميعا حلما واحداً متشابها؟..

مشلينيا:وما يمنع ؟نحن فى مكان واحد وحال واحدة تتسلط علينا أفكار واحدة (٢)

وهنا يظهرالهدف من المسرحية وهو أنه لا يستطيع أى إنسان أن يعيش حياة غير حياته ، أو فى زمن غير زمنه ، وحين يحاول هذه المحاولة لاشك أنه سيعيش وهما أو حلماً كبيرا وتتحول حياته لحالة من الفزع والخوف ، وهكذا نرى أصحاب الكهف تختلط حياتهم الحقيقية بالحلم وهم لا يميزون بين ماهو حقيقى وما هو وهم ، ويلفظ يمليخا أنفاسه وهو يقول :

يمليخا :الوداع أشهد الله والمسيح أنى أموت ولا أعرف إن كانت حياتى حلماً أم حقيقة.(٣)

وهذه هى الفكرة الرئيسة فى المسرحية ، وتظهر أيضا بوضوح حين يتعلق مشلينيا بالحياة فيقول :

مشلينيا :لم أجن إنى فتى ولى قلب فتى ، قلبى حى كيف تريد أن أدفن قلبى ؟ كيف أدفن نفسى حياً ومن أحب على قيد الحياة لا يفصلنى عنها فاصل.

مرنوش : بل يفصلك عنها فاصل.

مشلينيا : الزمن ؟

---

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ١٤٠

(٢) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ١٤٤

(٣) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ١٥٠

مرنوش : (فى صوت خطير هائل) **نعم..**

مشلينيا : (فى يأس) **أه يا مرنوش الرحمة أريد أن أعيش..ارحمنى يا مرنوش أريد أن أعيش.**

مرنوش : سوف تعيش.

مشلينيا : : (فى فرح) **أصحيح يا مرنوش ؟ أأستطيع أن أعيش ؟**

مرنوش : نعم بين جلدتى كتاب.

مشلينيا : (يائساً) **آه..**

مرنوش : لا فائدة من نزال الزمن لقد أرادت مصر من قبل محاربة الزمن بالشباب فلم يكن فى مصر تمثال واحد يمثل الهرم والشيخوخة كما قال لى قائد جند عاد من مصر ، كل صورة فيها هى للشباب من آلهة ورجال وحيوان.. كل شىء شاب. ولكن الزمن قتل مصر وهى شابة وماتزال ولن تزال،ولن يزال الزمن ينزل بها الموت كلما شاء.(١)

وتوفيق الحكيم يحاول هنا أن يقدم إسقاطاً واقعيا يضاف إلى الرؤية الفكرية للمسرحية وهى الزمن ، ويتمثل هذا الإسقاط فى حياة المصريين الذين عاشوا كهولة الحضارة وشيخوختها بعدما ظلت تتغنى بشبابها وقوتها ،فالمسرحية تقدم صورة" رمزية استمد المؤلف مادتها الأساسية من القصص الدينى ، واتخذ من شخوصها أقنعة تحكى قصتنا نحن المصريين ، ونومتنا فى كهف العصور الوسطى أربعة قرون تحت حكم الأتراك العثمانيين ، ثم يقظتنا الحديثة المفاجئة لنجد أنفسنا فى

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ١٥٤

عصر غير العصر ، ولنكتشف أن كل ما نعمله من عمل قديم وغير متداول ، لا يشترى به زاد ، ولا يقتنى به عتاد " (١)

ثم يموت مرنوش ويعانى مشلينيا الموت وحده وهنا تأتى بريسكا وقد جعلها الحكيم رمزا للحياة ولابد أن تدفن معهم فقد اتفقت مع غالياس أنها ستدخل الكهف لتدفن مع الفتية الثلاثة وتنادى مشلينيا الذى يعانى حشرجة الموت :

مشلينيا : (فى صوت خافت) **بر..يسكا..**

بريسكا : (فى فرح جنونى) **تلفظ اسمى.. أأنت حى..أأنت حى بعد ؟ مشلينيا.. مشلينيا..لا تمت.. لا تمت.. غالياس..أسرع قليلا من الماء..قليلاً من اللبن.. من الطعام.. أسرع.. أتوسل إليك.أتوسل إليك.** (غالياس. يخرج مسرعا)

مشلينيا : (فى بطء وجهد) **لا..نفع..**

بريسكا : بل عش.. عش لى.. لا تمت إنى أحبك.

مشلينيا : الز.. من.

بريسكا : الزمن ؟ لاشى يفصلنى عنك ، إن القلب أقوى من الزمن.(٢)

فهى تحاول أن تجعل الحب يقهر الزمن فتقول له وهى ترفع رأسه بين ذراعيها.

بريسكا : نعم نعم القلب قهر الزمن انهض يا مشلينيا.(٣)

ولكن الزمن أقوى لقد لفظ مشلينيا أنفاسه مستسلما لسلطان الزمن.

ثم يستطرد الحكيم فى قصة إضافية تمثل الخضوع لسلطان الزمن من خلال قصة فتى جزر اليابان الذى غاب فى البحر سنوات ليعود بعد ذلك فيجد أن أهله

---

(١)مجلة القاهرة. العدد ٧٦ .١٥ أكتوبر ١٩٨٧ الهيئة المصرية العامة للكتاب.مقال بعنوان القصص الدينى فى مسرح توفيق الحكيم. للكاتب عبد المجيد شكرى.ص ١٠٦

(٢) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ١٦١/١٦٢

(٣) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ١٦٣

بادوا منذ أكثر من أربعمائة عام وهو استطراد لا داعى له ، ثم تقرر بريسكا أن تدفن معهم حية وهنا ينقطع كل علاقة لأهل الكهف بالدنيا بعدما أدركوا أنه من المستحيل أن يعيشوا فى زمن غير زمنهم.

إن إحساس الحكيم بالزمن يعنى ضرورة العدم يعنى أن الإنسان حين يفقد زمنه كما فقد مشلينيا محبوبته ومرنوش أهله ويمليخا غنمه يصبح فى هذه الحالة فى موقف العدم " لهذا كان الزمن رمز للعدم وكانت الحياة هى الخلو من الإحساس بالزمن الفقدان والحرمان والوحدة والضيعة هى إذن المفاهيم الأساسية للزمن عند توفيق الحكيم ، ولهذا كان الزمن رمزا للموت والعدم ، ولهذا كانت السعادة واللقيا والحياة لها رمز آخر هو البعث الدائم ، هو الوجود خارج الزمن ، الوجود فى الأبد ،الوجود فى المطلق"(١)

وقبل أن نترك مسرحية أهل الكهف لابد من الإشارة إلى أن هذه المسرحية لا تعد قصة إسلامية على الرغم من أنها تعتمد على قصة قرآنية اقتبسها الحكيم " فكل اقتباس قرآنى لا يحسب عملا إسلامياً إلا إذا عبر عن مقاصد القرآن وسار فى ظله موضحا أهدافه الحقيقية كما جاءت فى النص الشريف.....إذ للقصة فى القرآن هدف إيمانى يجب أن يشيع فى أجواء القصة التى تستلهم القرآن كما لها دلالات سماوية ترتفع بالنفس من عالم الأرض إلى عالم السماء ، وذلك كله مالم يفكر فيه توفيق الحكيم ، وما لم يحاول أن يسم قصته بميسمه " (٢)

فالحكيم لم يلتزم بالنص القرآنى مطلقاً ولم يعتمد على التفسير إلا فى الأسماء فقط والإطار العام للقصة أما التفاصيل جميعها فهى من اختلاقه وبعضها كما

(١)فى تاريخ الأدب الحديث الرواية السرحية القصة د/ فؤاد المرعى ص ٣٢٠ منشورات جامعة حلب ، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ١٤١٩هـ ١٩٩٨م

(٢)بين الأدب والنقد د/ محمد رجب البيومى ص ٩٤/٩٧ طبعة الدار المصرية اللبنانية الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م

أوضحنا يختلف مع الهدف القرآنى اختلافاً شديداً مثل جعله مرنوش يموت وثنياً فيقول :

مرنوش : أحمق ! أولم نر بأعيننا إفلاس البعث !؟

مشلينيا : أستغفر الله ! أنت الذى عاش مسيحياً تموت الآن كوثنى؟

مرنوش : (فى صوت خاقت) **نعم أموت الآن...**

مشلينيا : مجردا من الإيمان...

مرنوش : مجردا... عن كل شىء... (١)

فالحكيم لا يسعى إلى الكشف عن الهدف القرآنى وإنما يسعى لهدف ذهنى بعيد كل البعد عن القصة القرآنية.

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ١٥٦

المبحث الثانى

صراع الزمن فى (لو عرف الشباب)

عالج الحكيم مشكلة صراع الزمن فى مسرحية لو عرف الشباب ، واعتمد فيها على الواقع مستخدما صورة ممكنة الحدوث وهى الحلم ، وكذلك العلم الحديث والتطور الطبى الذى شهده القرن العشرون ، وقد ذهب د/ محمد مندور إلى القول بأن هذه المسرحية من المسرح الذهنى وليست من المسرح الاجتماعى ، فوضْعِها ضمن مجموعة مسرح المجتمع إقحام لها فى هذا المجال يقول عن هذه المسرحية : " وهى فى الحقيقة من المسرح الذهنى لا من مسرح المجتمع ، وإن كتب أمامها الحكيم أنها من وحى المجتمع والعلم الحديث فهى مسرحية ذهنية، لأنها تقوم كمسرحياته الذهنية الأخرى على فرض عقلى يدرس المؤلف نتائجه لينتهى إلى الرأى الذى يتمشى مع فلسفته والذى يقول بأنه لاجدوى للإنسان من منازلة الزمن ومحاولة التغلب عليه أو الخروج من إطاره إلى الأمام أو إلى الخلف ، فهناك ما يشبه الجبر الحتمى الذى يلزم الإنسان بأن يلتزم مكانه فى الصف." (١)

وربما دفع الحكيم إلى تصنيفها ضمن مسرح المجتمع الذى جمعه فى كتاب واحد وهو عبارة عن مسرحيات ذات فصل واحد ، أن المسرحية تتناول جانباً اجتماعيا كما سيتضح فى عرض المسرحية.

وقد قسم الحكيم مسرحية [لو عرف الشباب] إلى أربعة فصول، وجعل الفصل الثانى منها فى منظرين.

تبدأ المسرحية بداية منطقية ليس فيها استرجاع لحدث ما ، فيقف صديق رفقى باشا صاحب المنصب الكبير والمرشح لرئاسة الوزارة ومعه طبيبه طلعت الذى أتى مسرعاً لحقن الباشا بحقنة الإنجيوكسيل ضد الذبحة الصدرية ويبدو على الباشا

(١)مسرح توفيق الحكيم د. محمد مندور ص ٥٠ دار نهضة مصر للطبع والنشر الطبعة الثالثة.

الضيق بهذا المرض العنيد الذى جعله عرضة للموت فى كل لحظة فضلاً عن شيخوخته واشتعال الشيب فى شعره ، فيهدئ الطبيب من روعه قائلا:

الدكتور : لا تيأس يا باشا.. هناك أمل فى كل حال.. تشجع واملأ قلبك بالأمل

الباشا : الأمل ؟ فى ماذا ؟

الدكتور : فى.. فى أن يكتشف العلم قريباً عن عقار من العقاقير أو كما يقولون عن أكسير يجدد الخلايا ويرجع المسن بضع سنوات إلى الوراء.. إنى كما تعلم يا باشا مختص فى البيولوجيا ، وأقضى أغلب وقتى فى بحوث تتصل بهذه المسائل ، فمن يدرى ؟ من يدرى؟.(١)

ثم يتحدث الطبيب حول بحوثه عن هذا العقار العجيب وأنه أجرى تجارب على الأرانب وأتت بنتائج مذهلة ، ويحقن الطبيب الباشا بحقنة الأنجيوكسيل ، ثم يطلب منه أن يريه هذا المصل الذى حقن به الأرانب فيخرج الطبيب من حقيبته أنبوبة صغيرة بها سائل ، فتراود الباشا الفكرة ويحاول إقناع الطبيب بأن يحقنه بها ، فيقول :

الباشا : ما الذى تخشاه ؟ تخشى أن تخفق التجربة وأن تقضى على حياتى هذه الحياة التى لم يتبق منها غير ثمالتها.. خير لى أن تقضى على حياتى التجربة من أن تقضى على حياتى الذبحة الصدرية.

الدكتور: لا لا. هذه جريمة لا تطلب منى يا باشا أن أرتكب جريمة

(١) لو عرف الشباب (مسرحية).توفيق الحكيم ص ٤٢ طبعة مكتبة مصر.

الباشا :إنى أطلب منك أن ترجعنى بضع سنوات إلى الوراء.. أطلب منك أن تعطينى بعض ما أعطيته للأرانب ! أتقبل أن ترد الشباب إلى أرنب. وترفض أن ترد الشباب إلى صديق باشا رفقى؟.(١)

فكلمات الباشا تمتزج بالتهوين وأن الأمر يسير وأن النتائج مغرية ،وهى بضع سنوات للوراء ، دون أى إدراك لتبعات هذا العمل الخطير ليس على بدنه فحسب بل على نفسيته وشعوره وإحساسه ، وفى النهاية يستجيب الطبيب تحت تأثير منطق وبلاغة وقوة حجة الباشا ، فضلاً عن طموحه فى أن يحقق اكتشافاً غير مسبوق ، وفى النهاية يحقن الباشا ويغفو غفوة مفزعة للطبيب حيث ظن أن الباشا قد مات ، ولكن سرعان ما يخرج الباشا فى نشاطه وحيويته فيزداد الطبيب فزعاً، وكأنما أثر الاكتشاف على عقله فسلبه لبه ، فيقول مبهوتا :

الدكتور : مستحيل ! مستحيل ! أيمكن أن يحدث هذا ؟ إنى واهم.. إنى مجنون.. إلى أحلم ؟.(٢)

وحين يحاول الباشا أن يهدىء من روعه فيقول :

الباشا : هدىء من روعك يا طلعت إنك قد انتصرت بدون شك.. واكتشافك هذا يجعلك من أصحاب الملايين

الدكتور: لا تهمنى الآن الملايين يهمنى عقلى أهذا ممكن أن يحدث ؟.(٣)

ويكشف الطبيب عن أن المسالة ليست شباب يعود وسنوات للوراء فحسب ، فهناك أمور أخرى.

الدكتور : أرأيت ؟ ليست المسالة مجرد صحة ودم حار ونشاط ، ولكن الشكل نفسه. إنك لم تعد الباشا. إنك لست أكثر من طالب فى

(١) لو عرف الشباب.توفيق الحكيم ص ٤٦
(٢) لو عرف الشباب.توفيق الحكيم ص ٤٩
(٣) لو عرف الشباب.توفيق الحكيم ص ٥١

السنة النهائية بالجامعة ، أو على أكثر تقدير شاب تخرج حديثا بعد أن نال البكالوريوس.(١)

وهنا تبدأ مشكلة الصراع مع الزمن فقد عاد الباشا إلى الوراء وليس هناك أى شىء يربطه بواقعه إلا مجرد الاسم وقد ظنته ابنته وزوجته شابا أتى يطلب مساعدة الباشا فى الحصول على وظيفة وحين سئل عن اسمه وأجاب ظنوه مجرد تشابه مع اسم الباشا ، ويبدأ رفض الواقع له حين يسألونه عن سنة تخرجه فيقول ١٨٩٨م ثم يستدرك قائلا ١٩٤٨م بعدما لاحظ الدهشة فى عيونهم ، ثم تسأل ابنته أين الباشا؟ فيجيبها الطبيب أنه خرج بعدما جاءه تليفون ، وهنا ننتبه إلى أمر مهم جداً وهو أن زوجة الباشا لم تتعرف عليه وقد عاد للشباب وهى زوجته من عهد شبابه الأول ، فكيف لم تتعرف عليه؟ ولم يهتم الحكيم بهذا الخلل الدرامى ، ولعله معنى بالفكرة وما تحويه من معان وأهداف ذهنية ، فأراد أن يستوفى الصراع أركانه كاملة فيجعل الباشا يعيش أزمة مكتملة حيث لم يتعرف عليه أى إنسان، ولا شك أن مرد هذا سيكون عنيفاً على نفسه فيما بعد ، وهذا أول صراع يصادفه فى بيته فقد رفضته الأسرة بعدم تعرفهم عليه ورغم أن ابنته وزجته معجبتان ببلاغته ورجاجة عقله إلا أنهما أيضا لا يتعرفان عليه، وبالتالى فلن يستطيع مقابلة رئيس مجلس الشيوخ الذى أتى ليرتب معه أمر الوزارة الجديدة :

الدكتور : إنك لم تزل محتفظاً داخل نفسك بكل دقائق شخصيتك الكبيرة بكل ماضيك وكل تجاربك وكل كفاءتك. لم يستجد شىء إلا الشباب الظاهرى الجثمانى ، ولكن الناس ،أيمكن أن يصدق الناس أن هذا الشاب هو نفسه صديق باشا السياسى الهرم ؟.(٢)

لقد كان الطبيب أسرع فى إدراك الفجوة الزمنية فهو ليس الباشا الذى تعرفه زوجه وابنته والناس ، ولئن كان عقله عقل صديق رفقى ، فإن شكله ليس هو

(١) لو عرف الشباب.توفيق الحكيم ص ٥١
(٢) لو عرف الشباب.توفيق الحكيم ص ٦٣

اطلاقاً ومعنى هذا أنه سيفقد بيته وأسرته ومنصبه وكذلك أمواله ، ثم ينتبه إلى حقيقة الزمن المفجعة حين تناديه زوجته قائلة : (يا بنى) يقول : معقول أن أستأنف حياتى الزوجية معها ؟ كل هذا سيضطره لمغادرة حياته كلها ،ولكنه يفرح فرحا عبثياً ، واهما فى حياة أفضل، فيخرج إلى الحياة وهو يقول :

الباشا: لم يعد لى مكان فى هذا البيت ، هلم بنا إلى الطريق إلى الحياة.. إلى حياة جديدة إنى شاب.(١)

وهذه كلها محاولات للتغاضى عن الزمن الذى بدأ الباشا صراعه معه.

ثم يبدأ الفصل الثانى وقد قسمه الحكيم إلى منظرين فبدأ المنظر الأول بصراع الباشا مع الزمن بعدما خرج إلى الحياة فرحاً مسرورا ، فما يملكه من حيوية الشباب كفيل بأن يملأ قلبه سعادة ، ولكنه يفاجأ بأنه لامكان له فى هذه الحياة وأن تغيره الجسمانى ، خلق مسافات من الجفاء بينه وبين من يعرفونه فقد أصبح بالنسبة للناس شخصاً غير الذى يألفونه ، وحينئذ يهرب ليصنع لنفسه حياة جديدة عساها أن تكون عوضا عن حياته الماضية ، ومن ملامح استنكار المجتمع له أن لطيفة زوجة الطبيب طلعت حين رأت ساعته قالت له :

لطيفة: يحسن بك أن تبيعها وتشترى ساعة حديثة تضعها فى معصمك مثل الشبان.(٢)

وهذا الموقف وإن كان شكلياً الا أنه يعكس محدودية التغيير ، وأن عقليته ماتزال عقلية رجل مسن كما سيتضح بعد ، وتتوالى عقبات الزمن وصراعه فى المسرحية حين يخرج من إطاره القديم المعلوم إلى إطاره الشبابى الجديد المجهول من كل الناس إلا من طبيبه، فقد أنكره البشر والأشياء فأمواله التى جمعها أصبحت تتنكر له ولن يستطيع أن يستمتع بشىء منها، فحين كتب (شيكا) ووقع عليه بيده

(١) لو عرف الشباب.توفيق الحكيم ص ٦٤
(٢) لو عرف الشباب.توفيق الحكيم ص ٦٦

التى تمتلىء بالشباب وتخلو من ارتعاشة الشيخوخة رفض البنك أن يصرفه ، وكاد الدكتور طلعت أن يقع فى حرج شديد :

صديق: الشيك.. ألم تصرف الشيك ؟
طلعت : رفض البنك صرف الشيك.
صديق : رفض ؟!.
طلعت : إمضاء الباشا متغيرة.. هكذا قالوا.
صديق : إمضائى متغيرة ؟! كيف ؟ إمضائى..
طلعت : إمضاء الباشا كانت فيها رجفة الشيخوخة
صديق : رجفة الشيخوخة ؟
طلعت : ثم إنهم وجدوا المبلغ كبيراً وتاريخ الشيك محرراً بعد يوم اختفاء الباشا الذى ورد فى الصحف ، ولولا تأكدهم من شخصيتى لارتابوا فى أمرى وأبلغوا البوليس ، لقد اكتفوا بأن ردوا إلى الشيك متأسفين.(١)

فقد غير الشباب كل شىء فى حياة الباشا حتى توقيعه، ليكتمل انقطاعه عن كل ملذات حياته السابقة ،ويبرز الحكيم بذلك أزمة الزمن ، ولكن يجعل أمامه فرصة لصراع الزمن فيقول: ما قيمة المنصب بدون شباب ؟وماِأهمية المال مع الشيخوخة ؟ لذا فإن صديق يفكر فى حل يجعله يستمتع بكل شىء وهو أن يعلن الدكتور عن اكتشافه الطبى ويُظْهِر صديق باشا للناس فى ثوبه الشبابى الجديد فينال الطبيب الشهرة ويستمتع صديق بالشباب والمال والمنصب ، ولكن تبدأ هنا أزمة جديدة فطلعت تعتريه نوبة هستيرية عنيفة فهو لا يصدق ما وصل إليه من اكتشاف طبى لذا أصبح لا يتعرف على الباشا نفسه ، بل وينساق وراء من قالوا بأن الباشا خُطف ، ولا يرى فى صديق باشا رفقى هذا الشاب إلا شابا جاء يطلب شفاعة الدكتور عند الباشا لينال وظيفة ، فيقول :

(١) لو عرف الشباب.توفيق الحكيم ص ٧٤/٧٥

صديق : عيب يا طلعت عيب قلت لك كف عن هذا المزاح خصوصاً فى مثل هذا الظرف مهما يكن من أمر فإن من الواجب أن تبقى لى فى نفسك شيئاً من الاحترام القديم ، يجب أن أكون دائما فى نظرك أنت على الأقل صديق باشا رفقى.

طلعت : صديق باشا رفقى.. أنت ؟

صديق : أتجهل ذلك ؟ تجهل أنى هو ؟

طلعت : أنت هو ؟ أنت هو ؟!(يضحك ضحكة عصبية)

صديق : (فى رعدة خوف) **لطفك يارب** ،(فى نبرة توسل) **لا يا طلعت أرجوك لا تفعل معى ذلك ، أنت الوحيد الذى يعرف حقيقتى ، فإذا كنت ستتجاهل أو ستتخابث أو تفقد صوابك فماذا يكون مصيرى ؟ أتوسل إليك لا تخيفنى هكذا نادنى باسمى ، أطمئن عليك أو على نفسى.**(١)

وهنا يشعر صديق بالأزمة حين يحتاج إلى أحد يتعرف عليه ، وصراعه هنا مع الزمن يتمثل فى رفضه أن يعيش حياة غير حياته أو سنا غير سنه الحقيقى ، وكأنه فى رحلة لمكان ما سرعان ما سيعود منه سريعا فهو حريص على الوسيلة التى سترده إلى زمانه كما يحرص المسافر على الوسيلة التى سترده إلى أهله وبلاده ،وهذه الوسيلة بيد طلعت، ورغم إقباله الشديد على حياته الجديدة وشبابه ، إلا أنه يعلم أن حياة الشيخوخة هى الطريق الصحيح الذى يتفق مع نوازعه وعقليته لذا فهو يقول لطلعت : قل لى يا صديق.. صديق رفقى ، ولكن المسرحية تحتدم وتندفع نحو صراع أقوى حين يستنكر طلعت ويقول له أنت ؟؟ أنت ؟.

ثم تتأزم المسرحية أكثر حين يحكم قصة انتهاء وموت الباشا أمام المجتمع فبعد أن أعلنوا عن مكافأة مالية قدرها خمسة آلاف جنيه لمن يصل إلى الباشا يفكر أحد أفراد البوليس . وكان أحد أقاربه سائق سيارة الباشا . فى إحكام قصة لينالا

(١) لو عرف الشباب.توفيق الحكيم ص ٨١

المكافأة ، فقد سرق السائق بعض ملابس الباشا وأتى رجل البوليس بجثة رجل فى سن الباشا وشوه معالمها وضعها فى مغارة بجبل المقطم كان يتوارى فيها الخارجون على القانون ، وهكذا أعلنوا وفاة الباشا ، لتنقطع كل صلة لصديق بالحياة ، وتبدأ كذلك كل صور رفض المجتمع له نفسيا ، فنرى لطيفة زوجة طلعت تقول له :

لطيفة : لأن هنالك فرقا بين عينيك ولسانك نظراتك تبرق أحيانا بوميض الحب الدافىء فإذا نطق لسانك خرجت منه كلمات موزونة بميزان العقل الهادئ(١)

ويبدأ الأمر بالتعقيد فقد صار الشاب صديق فتنة للطيفة وهى زوجة طلعت صديقه ، فتقول له إلى أحبك بعدما يئست من زوجها الطبيب الذى لا يهتم إلا بأبحاثه وتجاربه ، ولكنه يصرفها عن تفكيرها هذا باتزان الشيوخ بعيداً عن تهور الشباب ، فتقول له أهذا كلام شاب فى مثل سنك؟

لطيفة : أعجب ما فيك هو أنى قط مارأيتك متحمساً لشىء هذه الحماسة التى لا يمكن أن يخلو منها قلب شاب ، كل فكرة وكل اقتراح تقابله بالتفكير والتشكك أو الابتسام أو الصمت أو الإطراق كأنك عرفت خبرت ، وتحقق أملك وخاب فألك وليس شىء عليك بجديد(٢)

وتتوالى مؤثرات الزمن والرفض له واضحة جداً ويعرض الحكيم مواقف كثيرة تبين عدم انسجام الباشا مع شبابه المستحدث ،فنبيلة ابنه الباشا تقول معلقة على كلامه :

نبيلة : حقا كلامه يصح أن يصدر عن المرحوم أبى (٣)

(١) لو عرف الشباب.توفيق الحكيم ص ٨٥
(٢) لو عرف الشباب.توفيق الحكيم ص ٨٨
(٣) لو عرف الشباب.توفيق الحكيم ص ٩٩

وهكذا تتوالى الصدمات النفسية والذهنية بين صديق باشا والمجتمع بما يبين عن صراع مع الزمن ، وقد تناول الحكيم فى هذا الفصل بعض ملامح المجتمع بعين الناقد خاصة النفاق الاجتماعى والرياء.

ثم يستكمل الحكيم ملامح صراع الزمن حين يزداد الأمر تعقيداً وحين يحاول البحث عن وظيفة فلا يجد إلا وظيفة كاتب صغير فى شركة الزيت ، ويكتشف أن أوراقه لاتساعده على العمل، فأين شهادة الميلاد والشهادة الدراسية؟ وهى كلها عقبات حولت حياته إلى جحيم ؛ لذا فقد فكر فى حل يعود به إلى الحياة وليس هناك حل إلا الطبيب نفسه، فلابد أن يكتشف مصلا جديدا يفسد مفعول هذه الحقنة اللعينة ويحاول مع صديقه طلعت الذى دخل مصحة نفسية بعدما اعترته حالة عصبية حينما قرأ فى الجرائد أن الباشا خطف ثم قتل ، والحقيقة أن الحالة العصبية قد ظهرت عليه من أول دقيقة رأى فيها الباشا يعود لشبابه ورأى إنسانا يهرب من زمن إلى زمن آخر ، والحكيم هنا يحاول أن يبين لنا أثر صراع الزمن على من يقف فى مواجهة الزمن ومن يرونه ، فإذا كان الناس قد فروا من أهل الكهف رعبا فقد فر الطبيب رعبا أيضا من تحول صديق باشا إلى الشباب ، وحتى حينما عرّض الشاب صديق للطيفة زوجة طلعت بأنه هو نفسه صديق باشا ، انزعجت وفرت منه ولم يستطع أن يهدئ من روعها إلا بإيهامها أنه يمزح ، من هنا فقد أوضح الحكيم صراع الزمن من ناحيتين الأولى البطل نفسه والثانية المحيطين بهذا الشخص.

وحين ييأس الباشا من حياته يطلب من طلعت أن يبحث له عن طريقة تفسد أثر هذه الحقنة اللعينة:

صديق : والآن اسمع يا طلعت إنى أعيش بأمل واحد الآن ،هو أن يكون عندك لتلك الحقنة الملعونة ترياق.. بالطبع.. إنى أعرف أن لكل تركيب ضداً. وما من شك أن فى مقدورك أن تركب حقنة أخرى

تزيل أثر الحقنة الأولى وتردنى فى الحال إلى حالتى السابقة من الشيخوخة (١)

إنه يبحث عن الهروب كما بحث أهل الكهف من قبل عن مهرب لهم وهو الكهف ، إنه يهرب من حياة لا مصير لها إلى حياته التى يجد فيها نفسه ،حتى مقالاته التى كانت الجرائد تتلهف لنشرها أصبحت لا قيمة لها ولم يعبأ بها أحد ، فالناس تقرأ الاسم قبل أن تقرأ المحتوى ، وهى لمحة نقدية اجتماعية ، لذا فهو يصرخ خوفا من حياته الجديدة المزيفة ويقول :

صديق : إن كلمة المستقبل تضحكنى ،وكلمة الماضى تحسرنى ، إن الأمس هو بيتى ، كما أن الغد هو بيت الشاب الحق ، إنى لست شاباً، لست شابا يا طلعت.. إعدنى إلى بيتى..أعدنى إلى بيتى.

طلعت : (وهو ينظر إليه فاحصا) **أعيدك إلى بيتك ؟**

صديق : نعم أتوسل إليك فى أسرع وقت غدا كما قلت ووعدت ، غدا جهز لى الحقنة المضادة المباركة ،وعلى أنا أن أخرجك من هذا المكان الليلة.. نعم سأخرجك من هذه المصحة ، على أن نخرجنى غدا من هذا الشباب (٢)

فهو يصف الحقنة الأولى بأنها لعينة أما الحقنة المضادة فهى حقنة مباركة ، ولكن سرعان ما تبدد الأمل فقد قال طلعت لزوجته نبيلة من هذا الشاب المجنون ؟ وأوصاها أن يعالج فى هذه المصحة النفسية ، وبهذا ينقطع الأمل فى أن يساعد طلعت الباشا فى عودته لشيخوخته ، ولكن الباشا لا يستسلم فبدأ فى وضع خطة ترد طلعت أولا إلى عقله ومن ثم يستطيع حينئذ أن يتفاهم معه فى أمر الحقنة المضادة المباركة كما قال ، فيعرض على زوجة طلعت أن تساعده فى أن يخرج من المصحة ويعودا به إلى بيت الباشا وهو اليوم الذى ساءت فيه نفسية طلعت بعدما اختفى الباشا ،فربما حين يعود لهذا المشهد يئوب لعقله مرة أخرى ، وقال لها

(١) لو عرف الشباب.توفيق الحكيم ص ١٢٣

(٢) لو عرف الشباب.توفيق الحكيم ص ١٢٦

أنه . الباشا الشاب . سيكون موجودا معهم خاصة أنه كان معهم يوم أن ذهب ليطلب وظيفة من الباشا وهنا ينتهى الفصل الثالث.

ثم يبدأ الفصل الرابع ، وقد وقف طلعت على باب حجرة الباشا يناديه ثم يخرج صديق باشا فى هيئة الشيخوخة ، متسائلا كم نمت فيقول له طلعت : أربع دقائق فيقول : كل هذا فى أربع دقائق فقط ، وهنا يفاجئنا الحكيم بأن كل ما مضى كان حلما وأنها دقائق معدودة رأى فيها الباشا هذا الحلم المرعب ،ليكشف عن أن صراع الزمن عبث وأنه ليس فى الإمكان أفضل مما كان ، وأن الإنسان مهما حاول أن يعيش بصورة غير التى منحه الله تعالى إياها لعاش فى هم وغم وتعاسة ، فمن يصارع الزمن لا شك أنه سيكون هو الخاسر ، ثم تتشابك أحداث الحلم بالواقع ويبدأ يعرض رأيه حول أشياء بسيطة كرأيه فى سفر خطيب ابنته للبعثة ، كما عرضه من قبل فى الحلم ،.. ويقول متعجبا.. إنه رأى حلما مفزعا تقلبت فيه المصائب فقد مات ودفن فى أعين الناس ، ولكنه ظل حيا بلا أمل ولا عمل وكانت الحياة طويلة لا ظل فيها لأفق والفضاء ليست له حدود وحتى أنت يا طلعت فقد جننت....فيقول له طلعت :

طلعت : (باسما) **كل هذا داخل أربع دقائق ؟**

الباشا : إذا عاش الإنسان دقيقة واحدة بلا أمل ولا هدف فإنه يراها خلود.

جليلة هانم : وماهدفك الآن فى اليقظة ؟

طلعت : طبعا تقلد الوزارة

الباشا : بل انتظار الموت.. ذلك الجديد الوحيد على.. الصفحة الأخيرة التى لم تقرأ. (١)

ويأتى رئيس مجلس الشيوخ إليه ليناقشه فى أمر الوزارة ، ولكن يأتى الموت الذى ينتظره فكما انتهت مسرحية أهل الكهف بموت الفتية الثلاثة ، انتهت مسرحية

(١) لو عرف الشباب.توفيق الحكيم ص ١٤٥/١٤٦

لو عرف الشباب بموت الباشا ، ويلخص الحكيم فكرته فى كلمة على لسان الباشا قائلا :

الباشا : (كالمخاطب نفسه) **إن الذى هربت منه لم يكن هو الشباب ! لم يكن الشباب الحقيقى.إن الشباب الحقيقى لا يعود أبدا.** (١)

وبعد قراءة هذه المسرحية التى كشف فيها الحكيم عن صورة جديدة لصراع الزمن ، فإنه يمكن القول أنه غلبت على الحكيم فيها نزعة الاستسلام " وأطبقت الروح الانهزامية على المسرحية فى كافة أطرافها ، وكأن المؤلف يطلب من رجال العلم الحديث أن يوقفوا مسعاهم فى مجالدة الزمن ومغالبة الفناء ، ويحذر الناس من الابتهاج بمثل هذا الانتصار إذ تحقق فى يوم من الأيام " (٢)

وأعتقد أنها ليست روحا انهزامية ، وإنما هى روح تعبر عن الإقرار بالواقع والإدراك الحقيقى لنتائج منازلة الزمن ، وتحقق هذا واضحا فى أهل الكهف حين قال مرنوش : لا فائدة من نزال الزمن(٣)ويتحقق الآن فى لو عرف الشباب حين يقول الباشا لطلعت : أبحاثك فى تجديد الخلايا ، حاذر يا طلعت حاذر أن تمضى فيها إلى أبعد من إعادة الشباب إلى الأرانب (٤)

فقد جعل عودة الشباب أمر خطير يضر بالإنسانية ولو حدث هذا لاستأثر الشيوخ بكل شىء وهذه هى الفكرة الذهنية التى عنى بها الحكيم فى المسرحية.

(١) لو عرف الشباب.توفيق الحكيم ص ١٥١
(٢) مسرح توفيق الحكيم د.محمد مندورص ٥٢
(٣) أهل الكهف ١٤٥
(٤) لو عرف الشباب ١٥٤

المبحث الثالث

صراع الزمن فى (رحلة إلى الغد)

كتب توفيق الحكيم مسرحيته (رحلة إلى الغد) فى عام ١٩٥٧ م أى بعد خمسة وعشرين عاما من تأليفه مسرحية (أهل الكهف) وبعد خمسة أعوام من مسرحية (لو عرف الشباب)، وإذا كانت مسرحية (أهل الكهف) تبدأ من نقطة تاريخية ، ومسرحية (لو عرف الشباب) تعالج القضية فى نطاق الواقع والحاضر ،فإن (رحلة إلى الغد) تستشرف المستقبل ، فهى مسرحية تنبؤية تحمل كثيرا من الطرافة والخيال عن طريق التخطى بالزمن إلى عالم المستقبل المجهول ، وذلك كله بهدف ذهنى يقصده الحكيم منذ أول مسرحياته الذهنية ، وهو فقدان الإنسان لآدميته بقدانه للزمان والمكان.

قسم الحكيم هذه المسرحية إلى أربعة فصول ،يبدأ الفصل الأول بسجين دون أن يذكر اسمه على امتداد أحداث المسرحية ، وهذا السجين محكوم عليه بالإعدام لاقترافه جريمة قتل ، ولأنه ينتظر الموت بعد ساعات فمن الطبيعى أن تعتريه نوبات مؤلمة تظهر فى أحاديثه إلى نفسه ، ونرى السجان يستنكر ذلك قائلاً :

السجان : **تكلم نفسك كالعادة ؟**

السجين : نعم هل هذا ممنوع (١)

وهذا يدل على أن نفسية السجين قد انفصلت عن الواقع والحياة وبدأ رحلته إلى الموت من الآن ، ولكن النفس البشرية تتطلع إلى الحياة وهكذا كان السجين ، فقد كان يتشوق للحديث إلى أى إنسان ، لذا يقول أريد كلاما لا أريد طعاما ، وحين أتاه طبيب السجن يبدأ فى محادثته بما يكشف عن طبيعته وشخصية فيظهرلنا أنه كان فيما مضى طبيباً مشهورا . يظهر ذلك من أن طبيب السجن قدم له تقرير أشعة

(١) رحلة إلى الغد(مسرحية). توفيق الحكيم ص ١٣ طبعة مكتبة مصر

عن زوجته الطبيبة أيضا يفحصه حيث تعانى من آلام الصدر. وهذا السجين كان فيما مضى يعالج رجلا وقد سعت زوجة هذا الرجل إلى قتل زوجها بيد هذا الطبيب موهمة إياه أنها تعيش فى عذاب مرير فى ظل هذا الرجل القاسى المتوحش وماتزال هذه المرأة توقع به وتزين له إلى أن قتل زوجها ،ولم تمض فترة إلا وكانت هذه الزوجة زوجة للطبيب ولم تمض غير شهور إلا وقد اتهمته النيابة بقتل زوجها السابق بعدما وصل خطاب للنيابة من مجهول . أوهمت لزوجة هذا السجين أن من أرسله أحد أقارب زوجها. يتهم الطبيب بأنه القاتل ، وهو يحمل دلائل تثبت هذا ، وحين قُبض عليه فوجىء بأن كل الشهود يذكرون زوجها السابق بكل خير وأنه كان رجلا كريم الخلال، فتعجب منها وارتاب فى أمرها إذ أوهمته بأنه كان قاسيا عليها ، ثم بدأ يلاحظ علاقتها بالمحامى الذى كان يأتيها فى البيت وتختلى به فترات طويلة متعللة بأنهم يدرسون مسألة الميراث من زوجها السابق وقد فهم أنها تربطها بهذا المحامى علاقة مريبة وأنها والمحامى من خططا لإيقاعه فى هذه الجريمة البشعة التى ظنها خيرا ، إذ به يقع ضحية هذه المرأة الماكرة ، تدور هذه الأفكار فى ذهن السجين وهو ينتظر الموت بعد ساعات ، ولا يرجو شيئا من هذه الحياة إلا أن يقابل زوجته فيرتكب جريمة جديدة يصحح به الجريمة السابقة. فيقول متحسرا:

السجين : حتى الشرف جردتنى منه هذه المرأة... لم أقتل إذن فى الحقيقة لأنقذ البشرية من رجل وحش بل قتلت رجلا طيبا لا يستحق الموت.. إنى لم أكن أكثر من ألعوبة فى يدها ويد حبيبها الحقيقى ألعوبة كَذَبَت عليها ، وغَرّرَت بها ودَفَعَتْها إلى قتل مجرد من كل دافع إنسانى.. قتل دنئ حقير يأباه الشرف والضمير

الطبيب : ولكنك كنت تعتقد أن الدافع إنسانى.. اعتقادك وحده يكفى.. فلا تفقد إنسانيتك أرجوك ! أرجوك!

السجين : لقد رجوتنى بما فيه الكفاية. (١)

ويحاول الطبيب أن يصرفه جاهدا عن التفكيرفى قتل زوجته ، وفى هذا الوقت يدخل مدير السجن ليخبره بأن زوجته أتت لتزوره ، فيتطلع السجين لاقتناص الفرصة ، والانتقام من هذه المرأة التى جعلته دمية فى يدها ، ويخرج المدير بعدما وافق على أن يقابلها السجين بمفرده ، ويعود بعد قليل ليس بزوجته ولكن فى صحبة رجل وقور يحمل أوراقاً ؛ ليعرض على السجين أمراً ربما يغير مصيره ، فيقول السجين :

السجين : أى عرض ؟؟.....

المندوب : أدخل إذن فى الموضوع بدون مقدمات.. المسألة فى كلمتين أنه قد تمت الترتيبات النهائية لإطلاق صاروخ إلى الكواكب البعيدة وهذا الصاروخ معد لحمل إنسان، وقد جرى البحث عن هذا الإنسان وأخيراً اهتدينا إليك، والعرض المقدم أنه فى حالة قبولك القيام بهذه الرحلة فإن حكم الإعدام يلغى هذا القرار،تم الاتفاق مع الجهات الحكومية المسؤلة!

السجين : يلغى بصفة نهائية ؟

المندوب : بالطبع.

السجين : وإذا عدت من هذه الرحلة حيا ؟

المندوب : لو فرض أن عدت حياً فسوف تكون بالطبع حراً.

السجين : وهل هناك احتمال فى أن أعود ؟

المندوب : بصراحة ؟ الاحتمال ضعيف جداً.

السجين : كم فى المائة ؟

المندوب : واحد فى المائة.

(١) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ٣٤

السجين : أكون مغفلا إذا ترددت فى القبول بعد ساعات ستكون النسبة صفرا فى المائة ، فالواحد فى المائة إذن كسب كبير ، أليس ذلك؟

المدير : بدون شك.

السجين : طبعا ، مهما يكن من أمر واحد فى المائة خير من صفر فى المائة، لقد قبلت يا سيدى. (١)

ويبدو الزمن فى هذا المشهد حين يقيس السجين المدة الزمنية بالأرقام وهى لا شك ستنتهى بعد قليل ، ولكن من الممكن أن تكون هذه الرحلة باباً لزمن أكبر سوف يعيشه هذا السجين ، لأنها رحلة إلى الزمن كما سيأتى.

ورغم أن السجين كان يسعى جاهدا لينال من زوجته ويقتلها إلا أنه لم يتمكن من مقابلتها ،فقد أصبح الآن فى مسؤلية الجهة العلمية ، وليس فى مقدور المدير أن يتيح له مقابلة زوجته، فيصرخ قائلا :سأنال منها ولو أخذونى إلى سابع سماء ،ويعبر طبيب السجن عن فرحه بقبول السجين لهذا العرض فيقول له :

الطبيب : إنها لمعجزة ألا تموت كالمجرمين لأنك لست مجرما ولن تكون(٢)

وهكذا ينتهى الفصل الأول بعدما قدم تمهيدا لشخصية البطل فى المسرحية ، وقد بين نواحى عقليته وتفكيره بصورة واضحة ليتواءم مع الأحداث فيما بعد فهو إنسان عاطفى يحكم على الأشياء بقلبه ويستنتج الأشياء بمشاعره، ولا أدل على هذا من أنه لم يكن لديه دليل واحد على خيانة زوجته الماكرة كما زعم إلا احساسه ومشاعره فقط وهو يعرض أفكاره ومشاعره فى صورة منطقية وكأنها حقائق واقعية ، فهو عاطفى منطقى ولكن يُغلب العاطفة على العقل ، وسوف يتضح أثر ذلك فيما بعد حين جعله الحكيم النموذج البشرى الأفضل والأكثر إنسانية ، فهو العنصر الرئيس فى المسرحية ، وقد أفرد له الفصل الأول كاملاً ليثبت أن محور التعامل

(١) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ٣٩/٣٨

(٢) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ٤٢

مع الكون هو القلب قبل العقل ، وهكذا استطاع توفيق الحكيم أن يصور فى الفصل الأول شخصية السجين الأول بدقة بارعة روحا وعقلاً وعلما ؛ ليؤدى مهمته فيما بعد بدقة.

ثم يبدأ الفصل الثانى فى الصاروخ ، ولكن ليس بمفرده هذه المرة ، فقد كان برفقته شخصاً آخر ظنه سجانه ، وفى مطلع هذا الفصل يفقد السجين الإحساس بالزمان والمكان فيستيقظ متثاقلاً ، ويحاول أن يسترجع ما حدث له قبل أن يكون فى هذا الصاروخ، فيتذكر لقاءه السريع بزوجته ويأسف أنه كان لقاء سريعا فى حضور جمع من الناس ولم يتمكن من الانتقام منها ، ثم يتذكر بعض التعليمات التى ألقاها عليه رجال الجهة العلمية ،ثم حقنة المخدر ،ثم يتسأل لماذا حقنوا هذا السجان بالمخدر أيضا؟ ولما لم ينطلق الصاروخ حتى هذه اللحظة ؟ ثم يحاول أن يوقظ رفيقه عله يحصل منه على إجابة ، فيستيقظ ويعرض عليه بعض الحقائق ، أولها أنه سجين مثله ، وأنه سيرافقه فى التجربة ، وأن الصاروخ قد انطلق بالفعل ، وأنه يسير الآن بسرعة هائلة وأنهما فارقا الأرض منذ ثلاثة أيام ، يعرف السجين الثانى هذه المعلومات من خلال مطالعة شاشات أمامه ثم يسمعان صوتا وهو صوت رجال الجهة العلمية على الأرض يسألون عن بعض الأشياء وسرعان ما يقولون للسجينين أنه بسب خلل فى تقدير الزمن والمسافة فانهما قد ناما ثلاثة أيام ، وكان المتوقع أن يناما أقل من ذلك مما يسمح بإمداد الجهة العلمية بالمعلومات عن الفضاء ، وأن أجهزة الاتصال سوف تنقطع بعد ثوان ولن يستطيعا أن يتواصلا مع أحد أبدا ، وبذلك يصير الصاروخ ضائعا فى الفضاء.

وتظهر طبيعة السجين الثانى الذى تغلب عليه النزعة العلمية وموت المشاعر فيقول للسجين الأول موضحا كيفية عدم الإحساس بالحركة رغم أنهما يطيران فى الهواء :

السجين الثانى :هل تشعر بسرعة الأرض وهى تنطلق وتدور ؟؟

السجين الأول : طبعا لا.. لكن.

السجين الثانى : ولكن ماذا ؟ لا تعتمد على شعورك نحن نسير وكفى.[1]

فهو لم يهتم بالمشاعر ولا بالاحساس ، ونرى أن الحكيم لم يذكر اسما لأى منهما وإنما اكتفى بالسجين الأول والثانى ، وأرى أنه جعلهما سجينين لأن شخصيتهما ظلت مقيدة طوال المسرحية ولم يتمتعا بأى حرية فخرج من سجن أرضى لسجن فى صاروخ لسجن فى كوكب مجهول لسجن فكرى مرة أخرى على الأرض.. وسيتضح ذلك فيما بعد ، فهم طوال المسرحية سجناء ، وقد وضح مهنة كل واحد منهما، الأول طبيب فمن الطبيعيى أن تمتزج مهنته بالرحمة والثانى مهندس ومن الطبيعى أن يكون كل شىء عنده بمقياس دقيق، لذا اتسم السجين الأول بالروحية والثانى بالعقلانية ، وقد جعلهما الحكيم النموذجين البشريين؛ ليعرض كيف يكون تعاملها مع الزمن.

ثم يحاول الحكيم أن يقدم الشخصية المحورية المشاركة فى المسرحية السجين الثانى، فهو مهندس كافح لكى ينال منزلة مرموقة فى المجتمع حيث إنه تربى مع عمه الذى كان يملك قهوة تأوى اللصوص والمهربين ،ولكن هذا الشاب المهندس رفض هذه الحياة واجتهد ليحصل على شهادة فى الهندسة وفكر فى مشروع هندسى كبير قد يقدم إنجازاً عظيما للبشرية ، ولكن ليس لديه مال يساعده ، وصادف أن رأى امرأة عجوزا عزباء استمعت لكلامه وتحمست لمشروعه فتزوجها عساها تساعده ، ولكنه اكتشف بعد الزواج أنها شحيحة بخيلة فتخلص منها بالقتل وورثها ، ثم كرر المحاولة أربع مرات حتى أفلتت منه الزوجة الخامسة وقبض عليه ، يقول:

(١) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ٥٠

السجين الثانى : ثق أنى أنا لم أرد ارتكاب كل تلك الجرائم ولكنها الرغبة فى إنجاز مشروعى ، هذا المشروع الذى لو تحقق لعاد بالخير على عدد كبير من الناس.

السجين الأول : دافعك إنسانى محض. (١)

فالدافع من وجهة نظره إنسانى وكأن كل واحد منهما يريد أن يخدم البشرية بجريمته ، وهكذا المجرم حين يرتكب الجرائم ، لابد أن يجد مبررا يمكنه من فعل جريمته ، ولو على الأقل يكون هذا المبرر مقنعا له هو ، ولكن السجين الأول يحاول أن يعترف بأنه مذنب فيقول :

السجين الأول : مثلى.. أنا أيضاً قتلت بدافع إنسانى محض ، ولكن كل ذلك لا يمنع من أننا من القتلة السفاكين (٢)

ويظل الحكيم يكشف عن طبيعة شخصياته ، ويبدأ أول صراع مع الزمن هنا حين يشعران بأنهما لاشىء وأنهما لا قيمة لهما ، وذلك بعدما فقدوا قيمة الزمان والمكان فى هذا الصاروخ التائه فى الفضاء ، ويصاب السجين الأول بالملل فيحاول أن يتخلص من هذا الفراغ الذى يحيط به فيقول بخياله الأرضى . وهو خيال استقاه من أخبار العلماء عن الفضاء الخارجى وبعض خصائصه وسماته .:

السجين الأول : ماذا يحدث لى لو أنى ألقيت بنفسى من باب هذا الصاروخ إلى الفضاء ؟ أجبنى. ماذا يحدث لى؟

السجين الثانى : لن يحدث لك شىء ستلتصق بالصاروخ.

السجين الأول : لن أسقط فى الفضاء ؟

السجين الثانى : لا يوجد هنا سقوط حيث لا توجد جاذبية

السجين الأول : لن أسقط إذن.؟

---

(١) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ٥٠

(٢) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ٥٠

السجين الثانى : ولن ترتفع ، لا نستطيع هنا أن نسقط ولا أن نرتفع وهذا ما قلت لك. هل فهمت؟ لا سقوط ولا ارتفاع، لا جريمة ولا قانون، ولا شر ولا خير، ولا رزيلة ولا فضيلة ،ولا كره ولا حب، هل تفهم معنى هذا؟

السجين الأول :لا تحاول أن تدخل فى نفسى الشكوك وتجعلنى أعتقد أنى لم أعد إنسانا

السجين الثانى إنك لم تعد إنسانا الإنسان فينا قد تركناه فى الأرض ؛لأن الإنسان ابن الأرض. (١)

فالإنسان مرتبط بما حوله من أشياء هى التى تعطيه قيمته وتجعل لحياته معنى ، ومن بين هذه الأشياء الزمن الذى فقداه منذ أن ركبا هذا الصاروخ ، فنرى السجين الثانى يحاول أن يتعايش مع هذا الموقف فيصف حالتهما بصورة واقعية صادقة ،ولكن السجين الأول يرفض هذا التصور ويعتقد أنه ما زال متصلاً بالأرض ، وأنه ليس دمية فى الفضاء ، فيقول:

السجين الأول : ألم تقل الساعة أن الأرض أمنا ؟ تلك الأم أعطتنا صفات ، صفات لنا جميعا نحن أبناؤها ، ونحن نحتفظ بهذه الصفات هنا داخل نفوسنا نحتفظ بها حية أينما ذهبنا. (٢)

ويحاول السجين الأول أن يثبت للسجين الثانى أنهما مازلا يحتفظان بقيم الإنسانية التى لا يمكن أن تنفصل عن أى إنسان ، فيقول له: إنك مخرطة كهربائية سفاح يقتل النساء ، فيدعوه إلى عدم احتقاره فيقول:

السجين الأول : أنت إذن تحس مرارالاحتقار.

السجين الثانى : بالطبع.

السجين الأول : هذه علامة سارة. (٣)

---

(١) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ٦٣

(٢) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ٦٦

(٣) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ٦٩

وبينما هما فى هذا النقاش يلاحظ السجين الثانى أن سرعة الصاروخ تتصاعد وتزداد بصورة جنونية فقد اقترب الصاروخ من جسم سماوى ، ولكن سرعان ما انحرف مساره وتفاديا الاصطدام بهذا الجسم ، ثم يعبر السجين الأول عن ملاحظته لتأثرهما وانفعالهما بالمشاعر الانسانية فى حين أنهما فى موقف قد يمنعهما من إدراك هذه المشاعر فيقول :

السجين الأول : ماذا؟ حديثنا هذا ؟ حقا مازلنا وسط هذا الفراغ الكونى نتأثر بالكلمة المهينة ، ونخشى الحقيقة الشائنة ، ونحاول ألا يصغر أحدنا فى عين أخيه ، هذا حقا غير مصدق. (١)

ثم ينطلق الصاروخ بسرعة جنونية مرة أخرى لا تستطيع الأجهزة أن ترصدها فيستنتج السجين الثانى أنهما بذلك قد دخلا فى جاذبية كوكب ويتراءى لهم الكوكب بألوانه العجيبة ، ويحاول السجين الثانى أن يهبط هبوطاً آمنا بعدما أبدى تعجبه من هذا الكوكب متمنياً أن يكون فيه سكان ، ثم يهبط الصاروخ على الكوكب المجهول ليبدأ الفصل الثالث.

يبدأ الفصل الثالث فى الكوكب المجهول ، وهو كوكب يشتمل على عناصر قد تكون فى ظاهرها سعادة للانسان ولكنها فى الحقيقة قمة المأساة ، وإذا كان الحكيم عالج فكرة الصراع بين الآنسان والزمان فى مسرحيتيه السابقتين فإنه يتناول هنا الصراع مع الزمان والمكان ، فقد نزل السجينان فى كوكب مجهول يحقق لهما البقاء والخلود دون الحاجة لطعام أو شراب فقد تحولا إلى كائنات أشبه بالبطاريات الكهربية تستمد طاقتها من موجات الكهرباء من هذا الكوكب المعدنى العجيب ، وهما أيضا لايموتان فقد سقطا من الصاروخ وتجردا من ملابس رجال الفضاء ، وأجسامهما تنزف ومع ذلك لا يشعران بألم ، ويلاحظ السجين الأول أن قلبيهما لا ينبضان ، لقد كانا يخشيان الموت من قبل واليوم هم فى خلود ، ولا شك أن هذا

(١) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ٧٤

سيسعدهما ، ثم يكتشفان أيضا أن هذا الكوكب كله من شىء واحد معدنى وأنه مشحون بالكهرباء لدرجة أن أحدهما لو حدّث نفسه بشى وهو بعيد عن صاحبه لعلم صاحبه بما فى نفسه بل لو فكر أحدهما فى شىء سابق من ماضيه لظهر أمامه مشاهدا للعين ، يراه صاحبه :

السجين الثانى : (فى شبه ذهول) **نعم نعم.. نستطيع إذن أن نرى مافى رؤسنا مجسدا أمامنا فى الفضاء ، صور المخيلة تنتقل إلى الخارج كما لو كانت ترسل بالراديو من بلد إلى بلد.**

السجين الأول : عجيب هذا.

السجين الثانى : نعم.

السجين الأول : اسمع ! هاهو ذا عمل لنا ، نستطيع أن نستخرج من رؤسنا صور أناس وأشياء تملأ علينا حياتنا مارأيك. (١)

فقد اعتقد السجين الثانى أن فى تذكر الماضى حلا لأول مشكلة صادفتهما على هذا الكوكب وهى الفراغ الشديد وأنه لا عمل يعملانه ولكن هذا الحل لا يقدم جديدا ، فالأرض هى التى تمدهم بالمعلومات وما كان فيها من أحداث هى الشىء الوحيد الذى يمدهم بمعنى الحياة هنا وإلا تحولا إلى آلات ، ومع ذلك فالسجين الثانى فرح بهذه الحياة ويسخر ممن كانوا يريدون إنهاء حياته بالموت فى الأرض ، هاهم الآن يموتون ، أما هو . وصديقه . فيعيشان فى خلود

السجين الثانى : نحن إذن باقيان.. دائما.. مثل هذا الجبل المعدنى الذى نراه أمامنا.. هذا جميل أليس كذلك بل هذا يدعو إلى السخرية.. حكموا علينا فى الأرض بالإعدام وقادونا إلى

(١) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ٩٢

الموت. وإذا نحن نعيش دائما إلى الأبد أما هم على الأرض فسوف يموتوتون جميعا. (١)

ورغم كل هذه المغريات التى يوهم ظاهرها بالسعادة وأنها لو حدثت فى الأرض فهى منتهى التقدم العلمى ، إلا أن هذه الأشياء سرعان ما أصبحت سر شقاء وتعاسة السجينان ، فقد تخلصا من سجن الأرض ليقعا فى سجن الكوكب المجهول ، وتحولا إلى آلة ، لا تفنى ولا تنتج ، والعقل يأبى أن يعيش هذه الحياة ، لأن هذه حياة تتسم بالسكون ، والعقل يأبى أن يعيش فى سكون ، وهذا ما يحاول أن يرسمه الحكيم فى الصراع مع المكان، لقد جنى هذا المكان على السجينين بدعوى الخلود فظناها سعادة ،ولكنها فى الحقيقة جناية عليهما لأنهما فقدا آدميتهما ، وهذه إشارة من الحكيم إلى أن الحياة حين تصل إلى العلم المجرد وتجنى على قيم الإنسانية فإن هذا يضر بالإنسان وبمشاعره ، ثم تزداد الأزمة احتداماً حين يفقد الإحساس بالزمن وأنه لا فرق بين الماضى والحاضر ، وأنه لن يكون للوقت وجود طالما أنه لا شىء يحدث ولا أحداث تقع:

السجين الثانى : لم يبق لنا حاضر ولا ماضى.

السجين الأول : (قلق) **لا تقل ذلك !**

السجين الثانى : بل هو الواقع يا صديقى ، ماهو حاضرنا اليوم ؟ وما هو مستقبلنا غدا ؟..

السجين الأول : (مفكرا) **اليوم ؟ الغد ؟**

السجين الثانى : أرأيت كلمتان لا معنى لهما ، هنا لا نوم ، لا توجد هناك حوادث ، لا يحدث هنا شىء ولن يحدث كما قلت أنت ، لا جوع ولا طعام ولا عمل ، ولا نوم ولا راحة ولا مرض ولا شفاء

(١) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ٨٨

ولا شئ من هذا يحدث ، وحيث لا حوادث فلا وقت لأن الحوادث هى التى تصنع الوقت.(١)

فانعدام الزمن من أخطر ما يواجهانه هنا ، فبعد أن كانا يعيشان فى شقاء الأرض والسجن والقصاص ، أصبحا الآن شيئا لا قيمة له يعيشان ليتذكرا الماضى وللأسف لا يستطيعان أن يتذكرا آلامهما ، لذا أمسى هذا المكان الذى يضمن لهما الخلود سجنا يتمنيان لو انتهت حياتهما وتخلصا منه بالموت :

السجين الأول : يالها من سخرية ! ها هو ذا المستقبل قد مات إلى الأبد! ولم يبق إلا الماضى.

السجين الثانى : نعم الماضى البشع !! الحقير ! إنه لشىء فظيع أن تقدر لى حياة أبدية مع ذلك الماضى الذى أردت دائما الفرار من وجهه!

السجين الأول : إنك لرجل تعس.(٢)

ومن ثم فإن السجين الثانى يحاول أن يتمرد على هذا الواقع الذى قتل فيه الزمن فيقول :

السجين الثانى : ما اشقى تلك الحياة التى تعتمد على صور الماضى وحدها.

السجين الأول : مادمنا لانملك غيرها.

السجين الثانى : (بقوة) **يجب أن نصنع لنا حاضرا. يجب أن نصنع لنا مستقبلاً.**

السجين الأول : كيف؟

---

(١) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ١٠٠

(٢) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ١٠٢

السجين الثانى : لا أدرى. لاأدرى. لكن يجب أن نصنع شيئاً. مستحيل أن نعيش لنجتر صور الماضى ، كما تجتر البهائم العشب اليابس ، قم بنا هلم بنا (١)

فهو يريد أن يصنع الحاضر والمستقبل ، لأن هذا بالنسبة له هو الحياة لذا يقول أيضاً : لا يمكن أن تقبل عقولنا هذه الفكرة : أن تتجمد الحياة ، أن تقف الحوادث ألا يحدث شىء.. سأجن.. سأجن ، وهكذا نرى السجين الثانى فى ثورة عارمة لأن عقليته التى ترى الآله وتومن بالحركة ترفض هذا السكون الممل.

ويستنتج السجين الأول بعد ملاحظته للحالة التى وصلا إليها حقيقة كونية وهى أن الإنسان حين يصل إلى الكمال فى شىء ما فإنه حينئذ يصاب بعجز جديد فيقول:

السجين الأول : (متأملا) **عجباً لنا عندما كنا على الأرض كنا نتمنى إلغاء الجوع والتعب والمرض ، كان هذا هو الكمال الإنسانى الذى نحلم به ، وها نحن هنا فى الشبع والراحة والصحة الأبدية، فإذا نحن فى عجز من نوع آخر.**(٢)

إن توفيق الحكيم يحاول أن ينبهنا فى هذا الفصل إلى أمر ضرورى ، وهو جمال النقص البشرى ،جمال الاحتياج إلى شىء يُشعر الإنسان بآدميته ، إن الإنسان حين يصل إلى تحقيق كل رغباته يصبح لا شىء ، لأنه بذلك يخرج عن الإطار الذى قدره الله تعالى له ، يصبح شيئاً لا قيمة له ،وهذا ما أحس به السجينان، لذا حاولا الخروج من هذه الحالة بالعمل العبثى أو اللعب أو التسلية بالفن ، ولكن دون جدوى لقد أصبح الكوكب لعنة عليهم فحولهم إلى آلات ، لذا فكرا فى التخلص من هذه الحياة بعدما ادركا أن الحياة بهذه الصورة ليست حرية:

(١) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ١٠٤
(٢) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ١٠٦

السجين الثانى : الحرية هى أن نحتاج ونعمل ونحدث شيئاً وننتج جديداً[١]

ولكن فى هذا الكوكب يفشل العمل والفن ولن يستطيعا إحداث أى شى ، لذا فالحل هو الموت ففكرا فى أن يصعدا الجبل المعدنى ويلقيا بجسديهما من عليه ، ولكن يتبدى لهم عبثية الفكرة ،فلو كان ذلك يؤدى إلى قتلهما لماتا يوم أن اصطدم الصاروخ بالكوكب ، وهنا يتذكرا الصاروخ فيفكران فى إصلاحه عله يعود بهما إلى الأرض وعلى كل حال فهو عمل يتسليان به :

السجين الثانى : الصاروخ ، نعم كنا قد نسيناه ، مهما يكن من أمر يجب أن نحاول.. نحاول ، هلم إلى العمل.

السجين الأول : العمل ؟! ها هو ذا العمل يعود ، جاء مع الحاجة إليه.

السجين الثانى : وجاء معه الأمل ! هيا بنا نحاول.. نحاول.

السجين الأول : أراك الآن سعيداً !!

السجين الثانى : وأنت كذلك !!.

السجين الأول : دعنى أقبلك.. لقد عدنا بشرا. عاد الإنسان فينا ، وأنت تلفظ كلمة نحاول !! (يتعانقان) [٢]

وهنا ينتهى الفصل الثالث بعد أن عرض الحكيم فكرة صراع المكان مزدوجة مع صراع الزمن الذى بدأ يسلط الضوء عليه بصور قوية فى الفصل الرابع ، فقد عاد السجينان إلى الأرض ، ولكن ليس فى زمنهما ، وإنما بعد مرور ثلاثمائة عام (نفس المدة الزمنية فى أهل الكهف) وكما سلط الضوء فى الفصل الأول على السجين الأول وحده جعل الفصل الرابع يبدأ بعرض الأحداث حول السجين الأول ، وإسقاطها بصورة غائبة على السجين الثانى ، فقد استيقظ السجين الأول مبديا فرحته الشديدة بمتعة النوم ، وبمتعة شرب القهوة وهذه كلها رموز تدل على انهيار

(١) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ١١٠

(٢) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ١١٣

أزمة المكان التى كانت تقهر كيانه الإنسانى ، ثم يبدأ فى التعرف على طبيعة الأرض بعد ثلاثة قرون من خلال فتاة شقراء جميلة وأخرى سمراء للسجين الثانى ، وقد حددت لهما الجهات العلمية مسئولية اصطحاب الرجلين ومساعدتهما فى كتابة تقرير مفصل عن رحلتهما فى الفضاء ، ثم يسأل السجين الثانى عن كيفية مرور هذا الزمن رغم أنهما لم يمكثا فى الفضاء وهذا الكوكب اللعين إلا أياما قليلة فتكشف له عن أن اللحظة الواحدة فى الفضاء الكونى تعادل سنوات طويلة على الأرض والعجيب أنهما تقبلا هذا الأمر دون أى اندهاش ، وهذا راجع إلى غلبة الطبيعة العلمية على شخصيات المسرحية ،بل إن السجين الأول وهو من تغلب عليه نزعة المشاعر يقدم لنا تفسيرا لهذه الفجوة الزمنية حسب تصوره العلمى ، فيقول:

السجين الأول : إن الزمن على الأرض نسبى وبمجرد انطلاقنا من الأرض بسرعة الضوء نتجرد أيضا من الزمن وتصبح اللحظة هناك مساوية لعام هنا (١)

ثم يفاجأ السجين الأول بحقائق متطورة عن الأرض ، فالغذاء أصبح فى متناول الناس كلهم من خلال أنابيب كأنابيب المياه ، وأن الطب قد تطور تطوراً هائلا لدرجة أن الإنسان قد يعيش ثلاثمائة سنة ، ولأن عدد الناس أصبح فى ازدياد فإنه لاحاجة للزواج لأنه يؤدى إلى زيادة لا تفيد ، كما أن الزواج أصبح لانتاج البشر ومن ثم فمن يتزوج لابد أن يخضع لشروط وتجارب تضمن إنتاج بشر يمتازون بالسلامة والصحة ، وهذا لا شك قتل للمشاعر ولروح الإنسان ، كما أن الحروب قد انتهت وأصبح الناس يعيشون فى سلام ،حيث إنه ليس هناك ما يدعو للصراع بعدما توفر الغذاء وكل احتياجات الإنسان ، ورغم هذا كله فإن الناس تفتقد العمل ولا يجدون عملا يقومون به ، وهنا يقف توفيق الحكيم على أصل الصراع فى المسرحية وهو استكمال لفكرة الفصل الثالث وهو عدم وجود عمل ، وهو ما

(١) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ١١٩

مثل عبئاً على السجينان فى الكوكب المجهول ، ويبين أن هذه المشكلة تواجههما مرة أخرى على الأرض :

السجين الأول : ومن الذى يعمل إذن ؟

الشقراء : ذلك الذى يحب العمل للعمل.

السجين الأول : ومن الذى يحب العمل مادامت الحاجة مقضية بلا مقابل ولا تعب ؟

الشقراء : كل الناس يريدون أن يعملوا ، تلك هى مشكلتنا الكبرى ، وتلك هى أهم مطعن لنظامنا.

السجين الأول : يريدون أن يعملوا ؟ ولماذا لا يعملون؟

الشقراء : لا يوجد عمل لكل الناس.

السجين الأول: ما هذا الكلام ؟ ومن الذى يدير هذه الحركة اليومية فى هذه المدن الكبرى ؟

الشقراء : الأجهزة الآلية (١)

إن توفيق الحكيم يريد أن يقول أن واقعنا مهما كانت صعوبته ومشكلاته إلا أنه أفضل بكثير من واقع يتحول فيه الإنسان إلى عبد للآلة التى صنعها لتخدمه ،ولكنها أفقدته وجوده وكيانه ، ومن هنا بدأ السجين صراعه مع هذ الزمن الجاف القاتل ببروده وجموده.

ثم يعرض صورة أخرى لموت المشاعر فى هذا الزمن الذى يوهم ظاهره بالرفاهية التى يحلم بها الإنسان ، فحين يريد السجين الأول تقبيل هذه الفتاة الشقراء تدعوه لذلك دون أن يبدأ بكلام أو التعبير عن إحساسه ، فتقول له :

الشقراء : إذا كنت تريد شيئا فلماذا تتكلم عن شىء آخر. (٢)

لقد اعتبرت كلمات الغزل شيئاً آخر لا علاقة له بالقبلة مما يدل على غلبة الحياة المادية.

---

(١) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ١٢٨

(٢) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ١٣١

ثم يدخل السجين الثانى فى صحبة فتاة سمراء ويبدو فى أول لحظة عدم ارتياح الفتاة الشقراء للفتاة السمراء مما ينبىء عن أزمة بينهما وإرهاص بصراع بين جزبين قويين ، فقد كانت الفتاة الشقراء من حزب المستقبل أما السمراء فهى من حزب الماضى ، ويبدأ النقاش بين الفتاتين حول طبيعة كل حزب :

الشقراء : الخلاف قائم دائما فى كل الأمم والشعوب بين الطائفتين ، طائفة تريد المضى بشجاعة إلى الأمام ، وطائفة تريد الوقوف والنظر بعين الخوف إلى الخلف.

السمراء : ليس بعين الخوف ولكنه بعين الحكمة.

الشقراء : من حق حزبكم أن يستخدم الكلمة التى تعجبه ، وأن يطلق على الخوف كلمة الحكمة ، وأن يقف عجلة السير ويسمى ذلك عقلا.

السمراء : (متحدية) **السير إلى أين ؟ من فضلك!**

الشقراء : (فى استعلاء) **إلى إمام.**

السمراء : إلى الهاوية إلى الكارثة ذلك هو الأمام الذى نسير نحوه بفضل جرأة حزبكم ، وإذا كنتم قد فزتم طويلا بالحكم فذلك لأنكم استطعتم أن تبهروا أنظار الناس بمخترعاتكم وآلاتكم وأجهزتكم التى أراحت الناس وأطعمتهم وأسكنتهم وألهتهم ولكن الناس لا يستطيعون أن يعيشوا زمنا طويلا بالطعام وحده ، إنهم يريدون أن يشغلوا حياتهم بشىء ، إنهم يريدون أن يعملوا ، أعطوهم عملا، دبروا لهم العمل.

الشقراء : العمل العمل العمل..تلك هى النغمة الخبيثة التى ترددونها دائما لتوغروا الصدور وتثيروا المتاعب.

السمراء : إنها ليست نغمة إنها حقيقة راجعى الإحصاءات الرسمية عن حوادث الانتحار.[1]

(١) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ١٣٦

وهكذا نرى أن النفس البشرية تنقسم إلى قسمين قسم يدعو إلى التقدم والعلم واعتبار أن المشاعر زاد لا يسمن ولا يغنى من جوع ، وقسم آخر يدعو إلى الالتزام بالقيم الإنسانية والأخلاق والاهتمام بالمشاعر والأحاسيس باعتبارها المكون البشرى فى الإنسان بجوار العقل ، فلا عقل بدون مشاعر ، واستطاع الحكيم أن يقدم النموذجين ، ليكشف عن خطورة الانسياق وراء العقل كما حدث فى العصر الحديث من هدم للقيم والمشاعر أمام طاحونة العلم ،لذا فالفتاة السمراء تصف هذا الحزب المادى قائلة :

السمراء : إحساسهم بالجمال الحقيقى مفقود وقلما يخرج الشعراء والفنانون العظام من حزبهم. (١)

ويوضح السجين الأول قيمة الحب فى حياة الإنسان ، وأن من أهم المشكلات التى واجهتهما فى الكوكب المجهول ضياع مثل هذه المعانى مما أفقدهما معنى الحياة ، وهذا يؤكد أن الحكيم يرفض أن يعيش الإنسان فى زمن أو مكان غير الذى هو فيه.

وإذا كان أهل الكهف ، والباشا فى (لو عرف الشباب) ، فروا من سلطان الزمان الذى أخذ يصارعهم ، فإن شخصية السجين الأول قد فرت من الزمن ، أما شخصية السجين الثانى فقد استجاب للزمن ، فيقول :

السجين الثانى : أنا من حزبك ، حزب التقدم وسأتقدم بكل شجاعة ، وليكن ما يكون. (٢)

(١) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ١٣١
(٢) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ١٣٨

أما السجين الأول ، فيقول :

السجين الأول : العالم أيضا غير محتاج لحبنا وعواطفنا ونزواتنا وعقائدنا.. ولكن هذه كلها يجب أن توجد.. (١)

وهكذا نرى السجين الأول ينحاز لحزب المشاعر ويرفض هذه الحياة المادية ، ويبدأ فى التفكير فى التمرد على هذه الحياة ،والعجيب أن الحكيم الذى جعل السجين الثانى ينحاز لحياة الآله وإهمال العمل هو نفسه من تمرد فى الكوكب المجهول لعدم وجود عمل يعمله وهذا خلل فى شخصية السجين الثانى وقع فيه الحكيم.

ثم يبدأ الصراع حول الماضى والمستقبل متمثلا فى شخصية السجينين والفتاتين ،ويخرج هذا الحوار من مجرد نقاش وأفكار إلى صدام واقعى حين يدخل رجال الأمن بعدما سمعوا من خلال الأجهزة رأى الفتاة السمراء وأنها تريد تحطيم تلك الآلات التى أفقدت الإنسان آدميته ، ويصدر الأمر باعتقالهما ثم يضحى السجين الأول بنفسه فى سبيل افتداء هذه الفتاة السمراء ، ولمنزلته أمام الهيئات العلمية خاصة وأن أتى من رحلة فضائية عجيبة ، عرضوا عليه إما أن يعيش فى مدينة السكون فى عزلة تامة ، أو أن تسلط عليه الأشعة فتغير تفكيره ، فيختار أن يعزل فى مدينة السكون ، وهذا يدل على أن الحكيم يريد أن يكشف عن قيمة الكلمة ، وأنها أقوى سلاح ؛ لذا فإنهم كانوا يحَذَرون كلمات السجين الأول وفكره الذى ينتمى لحزب الماضى ، فالكلمة أقوى سلاح فى الحياة.

(١) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ١٤٢

وهكذا نرى السجين الأول صاحب المشاعر والأحاسيس يفر من هذا الزمن ، ويعود لزمنه هو ، زمن الحب والبراءة فقد خسر حياته منذ ثلاثمائةعام بسبب امرأة وهاهو الآن يخسر حياته من أجل امراة لذا فإن صديقه يقول له :

السجين الثانى : إنك لم تتغير ، بعد ثلاثمائة عام ، مرة أخرى تذهب إلى السجن بسبب امرأة. (١)

وهكذا تنتهى المسرحية بعدما أوضح الحكيم أهمية الزمن الذى يحمل خصائص العقل والقلب معا ، إنه الزمن الذى رفض السجين الأول أن يعيش فيه حياة مادية لا عمل فيها ولا حب ولا مشاعر ، لذا فالموت فى مدينة السكون أفضل بكثير من هذه الحياة.

(١) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ١٥٧

المبحث الرابع

مواطن الاتفاق والاختلاف بين المسرحيات الثلاث

كتب الحكيم مسرحية (أهل الكهف) عام ١٩٣٢م ، ثم كتب مسرحية (لوعرف الشباب) عام ١٩٥١م ثم كتب مسرحية (رحلة إلى الغد) عام ١٩٥٧م ، وبين المسرحيات الثلاث ملامح اتفاق كثيرة منبعها الأول عقلية الحكيم وتفكيره ، فقد ظلت تسيطر عليه فكرة الزمن أعواماً طويلة وحاول أن يعالجها أدبياً فى مسرحه الذهنى الذى يحمل جانباً كبيراً من التفكير العقلى ،ويعتمد على المعانى أكثر من تجسيد الشخصيات والأحداث والمواقف " وقد كان من دوافع الحكيم لكتابة هذا النمط الذهنى التجريدى ماركب فى طبيعته الخاصة وبنائه الداخلى وميله إلى الاستقراء والاستنباط "(١)

وبعد عرض المسرحيات الثلاث يمكن أن نوجز سمات وملامح الاتفاق والاختلاف بينها :

١.الفكرة العامة فى المسرحيات الثلاث تدور حول صراع الإنسان مع الزمن ، وهل فى قدرة الإنسان أن يعيش فى زمن غير زمنه ، حتى وإن كان هذا الزمن يمثل حلماً يتطلع إليه؟ " وقد عالج الحكيم فكرة الزمان.. على اعتبار أنه خاصية من خصائص الحياة الإنسانية ، لا تتحدد ولا تظهر معالمها إلا إذا قيست بمقاييس العادات والتقاليد والبيئة ، أو بعبارة أخرى المقاييس الإنسانية الطبيعية التى تكون حياة الفرد وتحدد وجوده وتشكل كيانه الإنسانى"(٢)

فقد كان غاية ما يرجوه أهل الكهف قبل أن يدخلوا الكهف أن ينجوا من المذبحة وأن تنتشر عقيدتهم ، وهاهم الآن فى ظل ملك يحميهم ويعتبرهم

(١) مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة. العدد السادس عشر الجزء الأول١٤١٧هـ ١٩٩٧م ص ٤٠ مقال بعنوان قراءة نقدية فى مسرحية أهل الكهف لتوفيق الحكيم د. جميل عبد الغنى محمد.

(٢) مقالات فى النقد الأدبى.د.محمد مصطفى هدارة ص ١١١طبعة دار القلم.

قديسين ،وكذلك غاية ما يتمناه الباشا المريض بأمراض الشيخوخة أن يعود لشبابه النضر ، وها قد تحقق حلمه وأصبح يلهو ويلعب فى نشاط وصحة ، وأقصى ما يأمله السجينان فى رحلة إلى الغد أن يخرجا من السجن وينجوا من القصاص الذى ينتظرهما ، فكيف وقد تحولا إلى حياة أبدية فى كوكب مجهول ؟. هذا غاية ما كانت تتطلع إليه الشخصيات فى المسرحيات الثلاث ولكنهم صدموا بعد ذلك بالواقع ، فالفكرة فى المسرحيات الثلاث واحدة والغاية بينهم مشتركة . وهى عدم قدرة الإنسان على مواجهة الزمن أو العيش فى زمن غير زمنه.

ولا تتعارض هذه الغاية مع بعض آراء النقاد فى تحليل مسرحية أهل الكهف والقول بأنها ذات دلالة رمزية من خلال الربط بين تاريخ المصريين الحضارى وواقعهم الذى يكاد يكون رقدة أشبه برقدة أهل الكهف ، ودللوا على ذلك بنص من مسرحية أهل الكهف :

مرنوش : لا فائدة من نزال الزمن لقد أرادت مصر من قبل محاربة الزمن بالشباب فلم يكن فى مصر تمثال واحد يمثل الهرم والشيخوخة كما قال لى قائد جند عاد من مصر ، كل صورة فيها هى للشباب من آلهة ورجال وحيوان.. كل شىء شاب.. ولكن الزمن قتل مصر وهى شابة وماتزال ولن تزال ، ولن يزال الزمن ينزل بها الموت كلما شاء. (١)

فتوفيق الحكيم يحاول هنا أن يقدم إسقاطاً واقعيا يضاف إلى الرؤية الفكرية للمسرحية ، وهذه الدلالة الرمزية المسرحية لا تتعارض مع فكرة صراع الزمن بل إنها تضاف إلى العمل حيث إنه بذلك يتسم بالتنوع والثراء.

٢.تكررت بعض الأحداث بين المسرحيات ، فالفترة الزمنية فى رقدة أهل الكهف بلغت ثلاثمائة سنة ، والرحلة فى مسرحية رحلة إلى الغد استغرقت ثلاثمائة سنة

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ١٥٤

، ثم طريقة التساؤلات حول طبيعة المدة الزمنية تكاد تكون متحدة ، وهذا التكرار طبيعيى فى الأعمال الأدبية " فلا يمكن إنكار أن التكرار داخل القص ظاهرة زمانية ، إذ دُوّن المسار الخطى المتقدم للزمن لن يكون للتكرار إطار يرجع إليه ، وبالتالى فلن يكون للتكرار معنى "[١]

وطبيعة الحكيم النفسية والعقلية تفرض عليه تكرار بعض الأحداث ، فقد اشتركت بعض الدلالات الرمزية ، مثل رمزية المرأة فى أهل الكهف من خلال بريسكا ، وكذلك رمزية المرأة فى رحلة إلى الغد ، فقد كانت للدلالة على المشاعر والأحاسيس التى ضحى من أجلها السجين الأول فى أول المسرحية ونهايتها حتى وإن كانت هذه المشاعر سببا لخداعه فى المرة الأولى فلن يثنيه هذا الخداع عن تغيير موقفه من التضحية من أجل المشاعر كما انتهت المسرحية ، أما فى (لوعرف الشباب) فقد كانت المرأة دالة على بهجة الحياة وسر سعادتها وارتباطها بالشباب.

كما أن هناك ملمحا مشتركا بين (أهل الكهف)و (لوعرف الشباب)و(رحلة إلى الغد) وهو تصور فتية الكهف فى بداية خروجهم أن دقيانوس هلك على يد هذ الملك المسيحى فى مدة لا تتعدى شهرا ، وانبهار الباشا الذى عاد لشبابه بالحياة الجديدة ، وكذلك السجينان فى رحلة إلى الغد وانبهارهما بالكوكب الذى منحهما الخلود ، ثم لم يلبث أبطال كل مسرحية بالهروب من هذه الحياة ، مع اختلاف سرعة هذا الهروب.

٣. كتب الحكيم مسرحياته الثلاث فى أربعة فصول وهى كلها متقاربة فى الحجم ، إلا أنه قسم الفصل الثانى فى مسرحية (لو عرف الشباب) إلى فصلين.

٤. صرح الحكيم بفكرة صراع الزمن فى المسرحيات الثلاث فقال فى أهل الكهف [١٥٤] : لافائدة من نزال الزمن ، وقال فى (لو عرف الشباب) [١٥١]: الشباب

(١) فصول (مجلة) المجلد الثالث عشر العدد الأول ربيع ١٩٩٤م الجزء الثانى ص ٧٨مقال بعنوان الزمن السحرى وجماليات التكرار ساندرا ناداف ترجمة محمد يحيى

الحقيقى لا يعود أبدا ، وفى (رحلة إلى الغد) [١٤٥] يصف حالهما فى الكوكب المجهول فيقول : كنا نعانى جمود العقل ووقوف الزمن.

٥. كلاهما عبر عن حياته السابقة بكلمات جميلة ، ففى(أهل الكهف) يقول هلموا إلى الكهف ،إلى عهدنا الجميل عهد دقيانوس الجميل ، وفى (لو عرف الشباب) يصرخ ويقول أريد أن أعود لبيتى وشيخوختى ، وفى (رحلة إلى الغد) يصف الأرض فيقول: أمنا العزيزة.

٦. النهاية فى المسرحيات الثلاث الموت ، والانهيار أمام سلطان الزمن ،إلا أنه فى (رحلة إلى الغد)جعل السجين الأول يعيش فى مدينة السكون وهى حياة أشبه بالموت ، وبقاء السجين الثانى فى الحياة المادية الجديدة.

هذه هى أهم ملامح الاتفاق بين المسرحيات الثلاث ،ولكن هناك ملامح للاختلاف بينها:

١. لم يهتم فى مسرحية (رحلة إلى الغد) بالأسماء مطلقا ، فلم يذكر اسما لأى شخصية ولا حتى الشخصيات الغائبة ، فنحن أمام السجين الأول والسجين الثانى ، ومدير السجن وطبيب السجن ، ومندوب الجهة العلمية ، والشقراء والسمراء ، وحتى الشخصيات الغائبة ، الزوجة ، المحامى... وهكذا كلها شخصيات مجردة من الأسماء واعتمد على عملها أو صفتها وهذا ما يريده الحكيم الصفة لا الاسم.أما فى أهل الكهف فقد اعتمد على الروايات التاريخية والتفاسير فى ذكر الأسماء ، أما فى لو عرف الشباب فقد اختار أسماء من الواقع.

٢. جعل عودة أهل الكهف للحياة معجزة ربانية معتمدا على النص القرآنى ،أما فى لو عرف الشباب ، فقد اعتمد على الحلم وهو أربع دقائق ولكنه امتد خياليا لمدة أسابيع ، وفى رحلة إلى الغد قدم مبرراً علميا معتمدا على التقدم العلمى الحديث من خلال أن اللحظة خارج الأرض قد تعادل سنوات مديدة.

٣. كانت الأزمة فى أهل الكهف ولو عرف الشباب فى الزمن فقد رفضوا هذا الزمن الذى يختلف عن عاداتهم وتقاليدهم فلم يستطيعوا الانسجام مع هذه

الحياة الجديدة زمانيا فقط ، فقد كان القصر هو القصر وبهو الأعمدة هو نفسه ، وبيت الباشا هو نفسه ، أما فى رحلة إلى الغد فقد كان الصراع مع الزمان والمكان فقد كان الكوكب المجهول يمثل ضغطاً نفسيا شديدا على السحينين ، لأن هذا المكان له خصائص تحولهما إلى آلات جامدة ثم بدأ الصراع مع الزمن فى العودة إلى الأرض بعد ثلاثمائة سنة.

٤. كان أهل الكهف يجهلون المدة الزمنية وقدروها بيوم أو بعض يوم؛ لذا حين عرفوا قدر هذه المدة أخذهم الفزع ، أما فى رحلة إلى الغد فقد عرفوا المدة ولم ينكراها أبدا وتقبلا هذه الفجوة فى البداية ، وفى لو عرف الشباب فقد طلب بنفسه الدخول فى هذه الفجوة الزمنية بالعودة إلى الخلف.

٥. فى أهل الكهف ورحلة إلى الغد الفجوة الزمنية تمثل تقدما للأمام ، أما فى لو عرف الشباب فإنها تمثل عودة للماضى ، فضلا عن أن شخصيات أهل الكهف تتطلع إلى الماضى ، أما شخصيتا رحلة إلى الغد فهما يفران من الماضى .

٦. جعل الحكيم شخصية ثانوية تشترك فى الصراع مع الزمن فى لو عرف الشباب وهى شخصية الطبيب الذى قدم العقار للباشا كى يعود شابا فقد أصابته نوبة الجنون فلم يصدق ما وصل إليه بعدما رأى الزمن يدور بالباشا إلى الوراء ؛ لذا كان هذا الأثر غير مقبول عقليا لديه فأصيب بالجنون ، وقد بين الحكيم أثر هذا الصراع على لطيفة زوجة الطبيب حين أخبرها الباشا بأنه تناول عقارا عاد به شابا ، فإذا بها. وقد كانت مقبلة عليه . تفر منه ولم يستطع أن يهدئ من روعها إلا بزعمه أنه يمزح ، ففكرة عودة الشباب والعقار أشبه بالجنون الذى سلب عقل الطبيب ، وأفزع لطيفة زوجة الطبيب ، أما فى أهل الكهف فقد كان الملك وأهل طرسوس ينظرون إليهم فى ترقب وحذر باعتبارهم أشباح وحتى بريسكا التى دفنت معهم كان منظرهم يثير فى نفسها الفزع فى البداية ، أما فى رحلة إلى الغد فقد كان أهل الأرض بعد ثلاثمائة سنة يعاملونهم بحفاوة شديدة وينتظرون منهما تقريراً علميا مفصلا عن عالم الفضاء.

هذه هى أهم ملامح الاتفاق والاختلاف بين المسرحيات الثلاث التى كشف فيها الحكيم عن صراع الإنسان مع الزمن الذى سينتهى حتما لصالح الزمن لا ختلاف العادات والتقاليد بين زمن وآخر ، ولن يستطيع الإنسان أن يعيش فى زمن غير زمنه.

وبعد قراءة المسرحيات الثلاث ، نستطيع القول " بأن الحكيم فى قرارة نفسه رومانسى عنيد ، وهذه الروح الرومانسية هى التى تفسر وجهة النظر التى يختارها دائما فيما يعرض له من قضايا الفكر ، فهو يفضل دائما الحياة الحالمة المستغرقة فى الفن للفن ، المستريحة المطمئنة الهاربة من مشقات الحياة ومجالدتها ، المسترخية فى حديقة أو مقهى أو العاكفة فى برج عاجى أو تحت مصباح أخضر "(١)

(١) مسرح توفيق الحكيم.د. محمد مندور ص٥٥

الفصل الثانى

الخصائص الفنية لنقد المسرحيات الثلاث

بعد أن عرض البحث للفكرة العامة فى المسرحيات الثلاث وملامح الاتفاق والاختلاف بينها ، يجدر بنا أن نتناول السمات والخصائص الفنية لكل مسرحية.

ولعل أهم العناصر الفنية لدراسة النص المسرحى تتمثل فى

١. الحوار ٢. الشخصيات ٣. الصراع ٤. الحبكة الفنية.

وهذه الخصائص الفنية تعتبر كلا متدامجاً فى العمل المسرحى ، والكتاب يراعون خصوصية السمات المسرحية فى كتابة إبداعاتهم حتى تتسم بالروعة والجمال وتعبر عن فكرته بدقة وجمال.

وإذا كنا أمام كاتب واحد . الحكيم . وحول فكرة واحدة . صراع الزمن . وهذا يوجب التقارب فى الأسلوب كما تقاربت الفكرة ، لكن الحكيم استطاع أن يتفاعل مع فكرة الزمن فى إطار الماضى والحاضر والمستقبل ، وكذلك استطاع أن يخلق اختلافاً فى الخصائص الفنية بين هذه المسرحيات.

المبحث الأول

الحوار

الحوار عنصر مهم من عناصر البناء الفنى للمسرحية وهو الوسيلة اللغوية التى تهيىء الكاتب لترجمة أفكاره ومشاعره فى صورة أقرب لما يشعر به ويفكر فيه ، وهو كذلك الأقدر على نقل هذه الأفكار إلى المتلقى ، وقد عرفه د.إبراهيم حمادة بقوله: "الكلام الذى يتم بين شخصين أوأكثر ، وبالتجوز يمكن أن يطلق على كلام

شخص واحد ، وقد تستخدم صيغة الحوار لعرض آراء فلسفية أو تعليمية أو نحوها " (١)

وللحوار أهمية كبيرة بين ذلك الحكيم نفسه حين قال: " الحوار هو أداة المسرحية ، فهو الذى يعرض الحوادث ، ويخلق الشخصيات ، ويقيم المسرحية من مبدئها إلى ختامها " (٢)

وقد ذهب الحكيم إلى أن الحوار فطرة وموهبة قبل أن يكون شيئاً مكتسباً فيقول : "الحوار فى ظنى كالشعر ، ملكة تولد أكثر مما تكتسب " (٣)

ولكن هذه الموهبة لابد أن يتعهدها الكاتب بالممارسة والمران " حتى يبوح الحوار له بأسراره ، ويسلم قياده له ، لأنه بلا حوار حقيقى مكتمل يصبح العمل المسرحى جثة بلا حراك " (٤)

ولكى يحقق الحوار أهدافه لابد أن يتسم ببعض السمات منها :

١. تنظيم الحوار وإظهاره فى صورة منطقية عقلية دقيقة بحيث تنقل الرؤية المسرحية العامة " ولهذا كان على الكاتب أن ينظم حواره بحيث يظهر وكأنه حركة انبعاثية ، وأن تحت السطح المائج المضطرب تياراً قوياً يحمل الأشخاص والحبكة إلى غايتها المحددة " (٥)

(١) معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية د/ إبراهيم حمادة. ص١٠١ دار المعارف
(٢) فن الأدب توفيق الحكيم. ص ١٤٠
(٣) السابق. ص ١٤٠
(٤)عن اللغة والأدب والنقد.د. محمد أحمد العزب ص ٤٠٠ طبعة دار المعارف الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠م
(٥)أصول الأنواع الأدبية.د. محمد أحمد العزب ص ٣٧٣ الناشر دار والى الإسلامية للنشر والتوزيع

٢. أن تخلو المسرحية من النزعة الخطابية ، فلا يقف موقف الواعظ فيوجه خطابه إلى الجمهور لأنه فى الأصل يوجه كلامه للشخصيات المصاحبة له " وأخطر ما تتعرض له لغة المسرح أن تكون خطابية ، وذلك حين يشعر القارىء أن الشخصية لا توجه إلى الشخصيات المسرحية الأخرى بل إلى المتفرجين ، وكأن الكاتب ينسى عمله الفنى ليعبر عن رأيه مباشرة لجمهوره ، أو يستخلص مغزى لمسرحيته ، يكره فيه الموقف على تقبل العبارة ، فلا وجود للجمهور فى نظر الشخصيات المسرحية ، وعلى قدر واقعية الشخصيات يكون إحكام الحوار دون توجه إلى المشاهدين ، كما لو كانت الشخصيات تحيى حياتها فى الواقع لا فى المسرح ومن ثم يقال إن المسرح بين جدران أربعة الرابع منها جدار وهمى يفصل بين الممثلين والجمهور " (١)

٣. أن تخلو المسرحية من غنائية الحوار ، لأن الغنائية سمة من سمات الشعر لا المسرح وحين يقع الكاتب فى هذا العيب يؤدى ذلك إلى ملل الجمهور ، وحينئذ يفقد الحوار القوة الحركية لأنها بمثابة وقف للحدث تنفصل به الشخصية عن زميلاتها فى الموقف ، وتفقد الجمل تأثيرها العملى ، أى وظيفتها الدرامية " (٢)

٤. ملاءمة الحوار للشخصية ، فلكل شخصية طبيعة تستلزم لغة خاصة بها ، تبعا لتكوينها العقلى والنفسى والاجتماعى وتبعا كذلك لطبيعة الزمان والمكان ، فالمسرح الواقعى غير التاريخى ، وأصحاب الرؤى الفكرية العميقة غير العوام ، ولغة الخدم غير لغة السادة ، وهكذا.

(١)النقد الأدبى الحديث د.محمد غنيمى هلال ص ٦٦٠طبعة دار نهضة مصر للطبع والنشر.
(٢)النقد الأدبى الحديث د.محمد غنيمى هلال ص ٦٦١

٥. الإيجاز والدقة فى عرض الأفكار والشخصيات " والرأى فى الحوار أنه ملكة راجع إلى طبيعته الضرورية له وهى التركيز والإيجاز ، والإشارة تفصح عن الطبائع، واللمحة التى توضح الموقف " (١)

هذه بإيجاز أهم السمات التى لابد أن تتوافر فى الحوار الجيد.

وللحوار أنماط مختلفة ، وسوف يدرس البحث كل نوع من هذه الأنماط فى المسرحيات الثلاث على حدة وملامح الاتفاق والاختلاف بينها.

أولاً : الحوار التوضيحى.

هو الحوار الذى يعتمد على الكشف عن أفكار الكاتب ، وتوضيح الرؤية الفكرية للجمهور ، وهو نمط حوارى يدفع بالحدث المسرحى إلى الأمام ، ويعتمد فى أغلبه على الجانب العقلى ، ونظرا لأن المسرحى لا يعرض رؤيته الفكرية للجمهور فى صورة مباشرة ، وإنما من خلال تبادل الحوار بين الشخصيات ؛ لذا فإن الحوار التوضيحى يكون بين شخصيتين الأولى على علم بالفكرة وأبعادها والثانية تجهل الفكرة ولا تعلم عنها شيئاً ، وغالباً ما يكون الجهل بالفكرة من جانب الشخصية الثانية جهلا مؤقتاً بعدها تتضح له الفكرة ، وسرعان ما تشترك الشخصيات جميعاً فى عرض الفكرة وتوضيحها ، وهذا غالبا ما يحدث فى المسرح الذهنى الذى يعتمد على الأفكار وصراعها أكثر من صراع الشخصيات ، وهذا ما حدث فى المسرحيات الثلاث موضوع البحث.

فقد اتسمت مسرحيات الحكيم حول الزمن بالحوار التوضيحى ، فقد عرض فكرة الصراع مع الزمن ، ففى أهل الكهف يتجلى الحوار التوضيحى فى مواطن كثيرة خاصة وأن فتية الكهف يواجهون فكرة لا يمكن تصديقها عقلا ، فهى معجزة

(١) فن الأدب توفيق الحكيم. ص ١٤٠

ربانية ، فنرى أول ملامح هذا الحوار التوضيحى حين خرج يمليخا لجلب الطعام ثم عاد مرتاعا يقول :

يمليخا: ما كدت أسير خطوتين حتى رأيت أمامى فارساً يلبس لباساً غريباً وكأنه صياد فأبرزت له مما معى من فضة عارضاً عليه شراء بعض صيده، فما تبيننى حتى كأنه امتلأ رعبا ،ولكز فرسه يريد الركض ،فأمسكت بزمام الدابة ، وأوقفت الرجل وأنا ألوح له بالنقود ، وفى النهاية أخذ منى قطعة فى حذر ،وجعل يتأملها وأنا أراقبه، وإذ هو يقول فى تلعثم وخوف وعجب وهو يقلبها بين أصابعه :" دقيانوس! ضرب فى عهد دقيانوس! ثم رفع رأسه متشجعا وقال لى: أمعك من هذا كثير ؟ فأخرجت له كل ما معى فقال : أين وجدته؟ قلت ماذا؟ قال هذه النقدود القديمة هذا الكنز؟! فحسبت بالرجل مساً ،فخطفت منه قطعتى ،وابتعدت عنه وهو يتبعنى بنظرة عجب واستطلاع وخوف ، ثم لكز فرسه واختفى عن بصرى.

مرنوش : صدقت إن بصاحبك مسّاً. (١)

فهدا الحوار يوضح كيف يكون العالم خارج الكهف ، وكيف ستكون نظرة الناس لهم ؟ وقد كانت هيئة وصورة يمليخا المرعبة سبباً فى فرار الصياد من أول نظرة رغم أنه يملك ما يستطيع أن يدافع به عن نفسه ، إلا أنه تجلد ووقف يحدثه حين رأى فى يده نقودا ظنها كنزاً من عصر دقيانوس ، لكنه من أول وهلة خافه الصياد وهذا يدل على أن فتية الكهف يمتلكون سلاحاً يثير الرعب فى نفوس من يراهم ، وهذا ما سيتجلى واضحاً فى المسرحية بعد، كما إنهم لم يخطر ببالهم مرور هذه الفترة الزمنية الطويلة ، فظنوا أن بالصياد مساً.

وهذا الحوار جيد إلا أنه اتسم بالاستطراد والإطالة ، والأفضل فى الحوار أن يكون قصير الجمل، وأن تتبادل الشخصيات الحوار، ولكن لأنه يعرض قصة ،

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٣٤/٣٥

ويعتمد على الاكتشاف فضلاً عن وجود شخصية غائبة تشاركه فى الحوار- الصياد . كل هذا يجعل الحوار مقبولا وإن أتى على لسان شخصية واحدة.

ويبدو الحوار التوضيحى فى مواقف عديدة فى أهل الكهف ، حتى نهاية المسرحية فبعد أن أوضح يمليخا استحالة العيش فى هذه الحياة التى يراها لا تتصل بحياته بصلة ، ثم تبعه فى هذا مرنوش ، ثم مشلينيا ، تأتى بريسكا إلى الكهف ومازال مشلينيا يلفظ أنفاسه الأخيرة :

بريسكا : (فى فرح جنونى) **تلفظ اسمى.. أأنت حى..أأنت حى بعد ؟ مشلينيا.. مشلينيا..لا تمت.. لا تمت.. غالياس..أسرع قليلا من الماء..قليلاً من اللبن.. من الطعام.. أسرع.. أتوسل إليك.أتوسل إليك.** (غالياس. يخرج مسرعا)

مشلينيا : (فى بطء وجهد) **لا..نفع..**

بريسكا : بل عش.. عش لى.. لا تمت إنى أحبك.

مشلينيا : الز.. من.

بريسكا : الزمن ؟ لاشى يفصلنى عنك ، إن القلب أقوى من الزمن

مشلينيا : أحلم.. آخر.. سعيد ؟.(١)

فهذا الحوار التوضيحى أتى فى جمل قصيرة مما أضفى عليه جمالا ، فهو يوضح الفكرة العامة للمسرحية (لا نفع.. الزمن) ليقول بأنه ليس هناك قوة تستطيع منازلة الزمن ، وإن خروج أى إنسان من زمنه إلى زمن آخر هو الموت بعينه.

وقد كان لطبيعة الموضوع أثر فى أن يستطرد الحكيم فى بعض المواقف ، فمثلاً نرى يمليخا يتحدث عن غربته فى هذه الحياة وذلك فى نهاية الفصل الثانى فكان حواره طويلا بلغ صفحتين ونصف ، وكذلك حديث بريسكا عن قصة أوراشيما

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ١٦١/١٦٢

فتى جزر اليابان الذى زاد عن أربع صفحات ، ورغم هذا فلم يدعو للسأم؛ لأن الحكيم يحاول جاهدا أن يوضح فى حواراته هذه المعنى الذهنى الذى يقصده.

*أما عن مسرحية لو عرف الشباب فنراه يجرى حواراً بين الباشا والطبيب حول اكتشاف دواء يعيد الشباب ، ويكشف فيه عن بداية الصراع مع الزمن والعودة للشباب:

الدكتور: إنك تعرف يا باشا مبلغ احترامى لك وتقديرى لشخصك وليس عندى الآن ما يمنع من أن أفضى إليك ببعض عملى وأن أرى رأيك فيما أنتويه من تصرف.. أبحاثنا أنا والأستاذ الأمريكى تقوم على فكرة بسيطة وهى أن تركيبنا الآدمى مادام قائما على خلايا حية فهو لا يمكن أن يستهلك كما تستهلك السيارة مثلاً بل يتجدد كلما أمكن تجديد الخلايا ، ولكن كيف يكن تجديدها ؟ هنا استطعنا بفضل الاكتشافات الحديثة التى أجريت على الذرة وبفضل دارسى الإشعاعات الكونية وخواصها أن نكشف عن سر تجدد الخلايا مهما يصيبها من هرم ، ولكن بقى الأمر الأصعب وهو كيف نستطيع عمليا أن نباشر هذا التجديد ؟ هذا هو الجانب الذى اضطلعت به وحدى واستطعت أخيرا أن أتوصل بطرق الحقن البسيط بمادة معينة أن أعيد الشباب إلى أرنب عتيق.

الباشا : أعدت إليه شبابه ؟

الدكتور : فى أقل من دقيقة.. نعم بعد أن تم حقنه بتلك المادة ظهرت على جسمه الهرم تحولات سريعة ،ولم تصدقها عينى، فإذا هو أرنب شاب فتى، لا فرق بينه على الإطلاق وبين غيره من الأرانب صغيرة السن.

الباشا : ياللعجب !

الكتور : (يخرج زجاجة متوسطة الحجم من حقيبته الصغيرة) **هذه هى المادة العجيبة.. ولقد أجريت هذه التجربة نفسها على عدد كبير من**

الأرانب الهرمة فكانت النتيجة واحدة، كلها عادت إلى الشباب ولم أكتف بذلك، بل طلبت أن تذبح وتطبخ إلى جانب أرانب صغيرة السن، وأكلت من هذه ومن تلك فلم أجد فرقاً على الإطلاق، وصرت أكرر هذا الطعام حتى سئمت منه زوجتى، وجعلت أسأل الطباخ عن الوقت الذى يستغرقه إنضاج هذه الأرانب، فكان جوابه أنها كلها تستغرق عين الوقت فهى عنده كلها إذن صغيرة السن!

الباشا : (يطيل النظر إلى الزجاجة كالحالم) **أمر مدهش.. مدهش** (١)

وهذه المسرحية تعالج مشكلة الزمن بطريقة مختلفة ،فهو يستخدم الخيال والعلم الحديث فى تقديم الفكرة؛ لذا فهو يحتاج إلى بعض العرض والتوضيح والتحليل للفكرة حتى تصل إلى عقل الجمهور ؛ لذا فالحكيم قدم الفكرة فى ثوب علمى مدعوم بالتجربة فرأيناه يتحدث عن الاكتشافات الحديثة التى أجريت على الذرة و الإشعاعات الكونية وخواصها ، ثم نرى تجربة ذلك على الأرانب.. فالعلم الحديث كان وسيلة لتقديم وسيلة الانتقال بالزمن.

وقد كان الحوار طويلا وعلى لسان شخصية واحدة وهذا أمر مقبول فى الحوار التوضيحى الذى يحتاج إلى شرح وتحليل دون أى مقاطعة تشتت الفكرة ؛ لذا كانت كلمات الباشا تحمل معنى التعجب فحسب فهى فى إطار الحوار التوضيحى ، وقد اعتمد على طرافة الفكرة وغرابتها مما يجعلها مثيرة جميلة.

وقد كانت بعض الشخصيات الثانوية تقوم بدور الحوار التوضيحى فنرى مدحت خطيب ابنة الباشا يقول :

مدحت :المرحوم أبوك الآن فى ذمة التاريخ من حسن حظنا (يستدرك) **معذرة يا نبيلة لم أقصد جرح إحساسك ، بل لم أقصد الإشارة إلى المغفور له والدك بالذات ، إنما أردت إطلاق الكلام على وجه عام أبوك**

(١) لو عرف الشباب.توفيق الحكيم ص ٤٣/٤٤

وأبى وجدك وجدى كل أولئك ذهبوا بآرائهم وتفكيرهم وتجاربهم بعد أن عاشوا عصرهم ، وعملوا عملهم وتركوا لنا ميراثهم ، نتصرف فيه من بعدهم طبقاً لما تراه عيوننا الجديدة وعصرنا الجديد، فلو أنهم بقوا معنا دائما يدبرون أمورنا بما اعتادوا عليه لما تغير أو تجدد فى الدنيا شىء ، ما من شك أننا نحبهم ونقدر جهدهم ونقدس ذكرهم ونشكرهم على ما تركوه لنا ولكن ثقى يا عزيزتى نبيلة أن خير ما يمكن أن يتركوه لنا ، هو أن يتركونا فى الوقت المناسب (١)

ويمتاز هذا الحوار بأنه عرض الفكرة والإطار العام للمسرحية من زاوية جديدة وهى رؤية الإنسان للزمن حتى ولو لم يتعرض للتجربة ،فإذا كان الباشا قاسى معاناة الزمن فمدحت يدرك هذه المأساة حتى ولو نظرياً.

وإذا كان الحكيم قد عرض صورة أهل طرسوس ناحية أهل الكهف فى ثوب الرعب والفزع فحسب ، فإنه فى لو عرف الشباب يعرض صورة للمجتمع الذى يتجدد دائما فليست أفكار الشباب كأفكار الآباء والأجداد فاتسمت رؤيته بالمنطق وإن غلب عليها جمود المشاعر.

*أما فى رحلة إلى الغد فقد كان الحوار التوضيحى بارزاً جداً وهذا راجع إلى طرافة الفكرة فى حد ذاتها واعتمادها على الخيال العلمى ، فهو لابد أن يقدم لنا مبرراً علمياً لاختراق حاجز الزمن بهذه الصورة المستقبلية إلى ثلاثمائة سنة وهذا كله يحتاج إلى توضيح.

وقد كان أول حوار توضحيى على لسان السجين الأول الذى يكشف عن أزمته على الأرض وهو مازال فى سجنه :

(١) لو عرف الشباب.توفيق الحكيم ص ٩٩

السجين: نعم أكلم نفسى ، لم يبق لى أحد يصغى إلى ، لم يبق لى فى الحياة غير أيام ، وربما ساعات ، سأشبع صمتا ولكنى لم اشبع كلاما ، ما من أحد يريد أن يستمع إلى كلامى ، بعد أن قلت ما قلت ، ولكنى لم أقل كل شىء ، إنهم يريدون أن أسكت لأن القضية قد انتهت ، وكلامى لم يعد له قيمة ولا أهمية بالنسبة إلى أحد أو بالنسبة إلى شىء ، حتى ولا بالنسبة لهذه الحيطان والقضبان ، كل شىء حولى ينظر إلى وكأنه يقول لى : انتهى كل شىء فاذهب إلى المشنقة بلا ضجيج ، لكن الحقيقة ؟ حقيقة ما حدث ، الحقيقة التى وراء الحوادث وراء القضبان وراء التحقيقات والملفات هذه الحقيقة التى أعرفها أنا، أيريدون أن تذهب معى أيضا إلى المشنقة ؟ وبلا ضجيج.. (١)

فهو فى مستهل المسرحية يبين صراعه مع الزمن ، مع النهاية الحتمية لكل قاتل يرى موته بعد قليل ، لذا استخدم التضاد فلغته تعكس التضاد فى مشاعره، ففو يرى الموت يتراقص أمام ناظريه ، ورغم هذا فنفسه تتوق إلى النجاة لإظهار الحقيقة التى يراها تستحق الحياة بدلاً من أن تموت معه ، وهذا لا شك سيبين أنه مقبل على رحلة تدفعه إلى حياة أكثر وأطول، فالحوار يكشف عن طبيعة الشخصية النفسية ، كما سيبين بداية صراعه مع الزمن.

ونرى الحوار التوضيحى فى رحلتهما إلى الكوكب المجهول بما فيه من أشياء غريبة ، وأخذ كل سجين يوضح شيئا من هذا الكوكب بما يملكه من علم سابق.

كما اعتمد أيضا على الحوار التوضيحى فى الفصل الأخير حين عادا إلى الأرض فيتعجب السجين الأول من التطور الذى حدث فى الأرض فيقول :

السجين الأول : أليس عجيبا أن أسمعكم تقولون هذا عنا وعن عصرنا أنا وزميلى ! ثلاثمائة سنة ! أين كنا طوال هذه الأجيال ؟ إن

(١) رحلة إلى الغد.توفيق الحكيم ص ١٣

هذه الرحلة لم تستغرق فى نظرنا أكثر من يوم أو بعض يوم !

الشقراء : إذا أردت الدقة فهى قد استغرقت ثلاثمائة سنة وتسعا.

السجين الأول : وتسعا ؟

الشقراء : بالضبط طبقا للحساب الذى أجرته هيئة العلماء على أساس ما هو مثبت فى السجلات العلمية القديمة. (١)

والتوضيح هنا لا يعتمد على تفسير علمى لكيفية مرور ثلاثمائة سنة، بل إنه يبرر مشكلة شعورية عناها الطبيب بقوله :

السجين الأول : معروف أن الزمن على الأرض نسبى ، وبمجرد انطلاقنا من الأرض بسرعة الضوء نتجرد أيضا من الزمن وتصبح اللحظة هناك مساوية لعام هنا ، كل هذا صحيح فى نظر الحقيقة العلمية ولكن الحقيقة الشعورية ؟!! شعورى أنا ماذا أصنع فيه ؟!. (٢)

فهو يوضح أن القضية ليست قضية تفسير علمى فقط فالصراع النفسى مع الزمن هو حقيقة المشكلة وهذه هى أزمة الزمن عند الحكيم هنا وفى مسرحياته الثلاث.

وبهذا نرى الحوار التوضيحى يدفع المسرحيات إلى الأمام ويجعل الأحداث تتتابع وتتقدم إلى الأمام حتى تتضح الفكرة الذهنية التى يريدها الحكيم إلى الحياة.

ثانياً : الحوار المتسارع.

(١) رحلة إلى الغد.توفيق الحكيم ص ١١٨/١١٩

(٢) رحلة إلى الغد.توفيق الحكيم ص ١١٩

عرفه النقاد بأنه "الحوار الذى يدور شخصيتين أو أكثر فى إيقاع متلاحق سريع يبدو وكأنه خبطات سيوف متبارزة " (١)

وهذا النمط الحوارى كثير فى المسرحيات الثلاث وهو راجع لطبيعة الفكرة التى غالبا ما تثير الدهشة والتعجب ، مما يدفع الشخصيات إلى التساؤل وتلاحق العبارات والجمل فى صورة ملفتة للانتباه ، من ذلك قوله :

يمليخا : إنى أروى الحقيقة.

مرنوش: (يتفكر فى جهد) **إنك ستجننى معك ، كلا ليس فى طاقة رأسى تصور هذا ، فليبلغ ما بيننا وبينهم ما بلغ ، ماذا تريد الآن ؟**

يمليخا : الكهف.

مرنوش: أتريد أن ندفن أنفسنا أحياء فى هذا الكهف؟

يمليخا : نعم فلنذهب إلى عالمنا.

مونوش: اذهب أنت.

يمليخا : وأنت يا مرنوش ؟

مرنوش: أنا لى أهل وبيت وولد ينتظرونى (يمليخا يضحك ضحكة رهيبة) **ما يضحكك هكذا ؟ أبك مسّ ؟**

يمليخا : ثلاثمائة عام ! أنسيت ؟

مرنوش:(فى ضيق) **نعم ثلاثمائة عام فلتكن قلت لك ثلاثمائة أو أربعمائة عام! ماذا يضيرنى؟ وماذا يغير هذا من حياتى؟.** (٢)

فهذا الحوار جمله قصيرة متلاحقة بشدة وانفعال وفيه نرى يمليخا يبارز بالحقيقة التى شاهدها مرنوش الذى يعيش فى وهمه ، وهو حوار دقيق ومعبر يرسم عاطفة وشعور الشخصيات ، لذا اختار له أدق الكلمات وأحسنها ، واتسم أيضا

(١) معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية د.إبراهيم حمادة ص ١٠٢

(٢) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٧٣/٧٢

بالوضوح والبعد عن المبالغات ، فشعور يمليخا هائج تسيطر عليه مشاعر الخوف والرعب ، من هنا كان الحوار المتسارع معبرا عن إحساسه بدقة.

ويتكرر الحوار المتسارع فى مواطن عدة فى المسرحية وخاصة فى مواطن الاكتشاف ، فنرى مرنوش يتحدث بنفس الطريقة التى تحدث بها يمليخا حين فوجىء بالزمن وأنه من زمن غير هذا ، فنرى مشلينا ومرنوش يتبادلان الكلمات بصورة متسارعة فيقول:

مشلينيا : لماذا لم تقل هذا الكلام أمس ؟ ألست أنت الساخر من يمليخا ؟
مرنوش : لقد صدق الراعى.
مشلينيا : منذ متى؟
مرنوش : مشلينيا ! لقد مات قلبى يا مشلينيا ، ولا فائدة منى اليوم ، تعال معى إن كنت لى صديقا تعال معى يا مشلينيا !
مشلينيا : إلى أين؟
مرنوش: (وهو يجذب يده) **إلى عالمنا نحن.**
مشلينيا: (يسحب يده منه) **أأنت مجنون؟**
مرنوش : أتدعنى أذهب وحدى ؟ (مشلينيا لا يجيب) **مشلينيا ! أتتركنى أذهب وحدى؟.**
مشلينيا: لا تذهب ابق هنا.
مرنوش : لا أستطيع.
مشلينيا : لماذا ؟ ما يمنعك؟
مرنوش : لا أستطيع.(١)

فيحاول مرنوش أن يقنع مشلينيا بما حاول يمليخا من قبل أن يقنعهما به ، وقد كثر فى حوار مشلينيا التساؤلات التى تتسم بالرفض والخوف الداخلى من شىء

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٩٧

يوشك أن يقترب منه فهى فى داخلها مرتجفة فيتوهم أن صاحبه مجنون ويشفق على نفسه من أن يتركه صاحبه فيطلب منه أن يجلس معه ، لكن دون جدوى.

وهكذا نرى الحوار المتسارع واضحاً جداً فى المسرحية وتمثل فى جمل قصيرة متلاحقة تمتلىء بالتساؤل والخوف والفزع فى أغلب الأحوال ، كما تحمل فى طياتها تكثيفاً للأحداث مما يجعل الجمهور يترقب الأحداث بانفعال وتشوق.

ونرى هذا الحوار المتسارع فى مسرحية لوعرف الشباب حين يحاول الباشا إقناع الطبيب بأن يعطيه حقنة الشباب فيتبارزان بالكلمات بين معنى الشجاعة والحذر فيقول:

الباشا :هذه الزجاجة؟! أرنى عن قرب ، هذه الزجاجة (يخرج منظاره ويضعه على عينه)

الدكتور : (يدنيها من نظر الباشا) **سائل لا لون له.**

الباشا : (كالحالم) **نعم ولكنه يلون الحياة بأزهى الألوان.**

الدكتور : هذا صحيح.

الباشا : (بصوت متهدج) **ألم تجرى التجربة على.. على.. على..**

الدكتور : على ماذا ؟

الباشا : على شخص آدمى ؟

الدكتور : شخص آدمى ؟ لا.. لا بالطبع

الباشا : ولم لا؟

الدكتور: ليس من حقى أن أفعل ذلك ، ليس من حقى أن ألعب بحياة بشرية وأعرضها لضرر محتمل الوقوع.

الباشا : ولماذا لا تفكر فى الاحتمال الآخر ؟ أليس من الجائز أن تنجح التجربة فتسدى بذلك إلى إنسان قريب من الفناء أعظم خير يمكن أن يعطى لبشر ؟!(١)

وفى هذا المشهد نرى دفعاً قويا للأحداث نحو الأمام فبعد أن كان الكلام مجرد مسامرة اندفع ناحية الاختبار والتجربة ، وبدأ الحوار فى أوله مهتزاً قلقاً من جانب الباشا ، ثم لم يلبث أن اشتد وقوى حين أسعفته الحجة للمبارزة.

ويلاحظ أيضا أن الجمل ذات الدلالات الحركية كثيرة فى المشهد ، فالحكيم لا يكتفى بالكلمات وإنما يعبر أيضا بالجسد ، وظهرت هذه الحركات التعبيرية فى أول حوار الباشا كعامل مساعد للحكيم فى نقل الحالة الشعورية التى يحسها الباشا ،وقد دفع هذا الحوار الأحداث إلى الأمام.

وقد تكرر مثل هذا الحوار بين الباشا والطبيب مرة أخرى حين طلب منه أن يكتشف له دواء مضادا للحقنة الملعونة ويعود لشيخوخته ، ولكن زوجة طلعت تقول أن طلعت يزعم إنك مجنون :

لطيفة : ماذا كان موضوع حديثكما ؟!

صديق : أشياء كثيرة أقنعتنى كل الإقناع أن طلعت فى أتم صحة عقلية ونفسية ومعنوية.

لطيفة : لا داعى إذن إلى بقائه هنا ؟

صديق : (بقوة) **على الإطلاق إنه رجل عاقل.**

لطيفة : فليخرج إذن لتحل أنت حجرته.

صديق : ماذا تقولين ؟

لطيقة: ما قاله لى بالحرف ، قال لى إنك مجنون.

صديق : أنا ؟!

(١) لو عرف الشباب.توفيق الحكيم ص٤٥

لطيفة : أكد لى الآن أنه سمع منك كلاما كثيراً لا يصدر إلا عن مجنون وأوصانى بعرضك على الطيب ، وبأن تحجر لك هنا حجرة.(١)

فالباشا يتسارع بالحوار ليصل إلى هدفه من عودة الطبيب لعقله عساه يقدم له حقنة جديدة ، فإذا به يرى صديقه عدواً له مع هذه الحقنة اللعينة لتكتمل أزمة الزمن ، فى تخلى الأصدقاء عنه ووقوعه فى أزمة جديدة وهى اتهامه بالجنون.

وهكذا نرى الحوار المتسارع فى (لو عرف الشباب) بادياً فى مواقف كثيرة ، ولم نر الحكيم يأتى بمشهد واحد يكشف فيه سعادة الباشا بشبابه ، وهذا ما جعل الحوارات متسارعة فى مواقف كثيرة.

*أما فى (رحلة إلى الغد) فقد كان الحوار المتسارع أقل بعض الشىء من المسرحيتين السابقتين ، لأن الشخصيات فى كل مشهد تفقد الأمل فى الحياة ففى الفصل الأول السجين الأول ينتظر الموت مرة واحدة ، وفى الفصل الثانى ينتظر الموت مرات كثيرة فى الصاروخ فهم يقابلون الأمر باللامبالاة ويتمنون الموت حتى يتخلصوا من عذاب الترقب ، والثالث فى الكوكب اللعين هم من بحثوا عن الموت ، وقد ينشب تسارع فى الحوار ولكن سرعان مانراه يهدأ بصورة شديدة بسب عدم وجود رد فعل لأى شىء فى هذا الكوكب المجهول.... ورغم هذا فقد ظهرت بعض المشاهد التى تتضمن حواراً متسارعاً ، مثل رغبة السجين فى لقاء زوجته،فهو حوار سريع ولكن سرعان ما انطفأت جذوته سريعاً :

المدير : ثق أنى لم أجىء إليك الآن إلا لأبلغك بأمر زيارة تهمك.
السجين : زيارة ؟
المدير : السيدة زوجتك جاءت لزيارتك.
السجين : زوجتى أنا.؟
المدير : أهذا يدهشك ؟ هذا طبيعى كما قالت.

(١) لو عرف الشباب.توفيق الحكيم ص١٢٧

السجين : أين هى ؟ أين هى؟ (١)

فهذه الكلمات السريعة تأتى بعد حوار هادئ من السجين الذى قابل كل الأمور بالتجاهل واللامبالاة ، لكنه حين سمع اسم زوجته تندفع مشاعره نحو الانتقام منها فى لهفة.

ونرى أيضا الحوار المتسارع فى نهاية المسرحية فى دفاعه عن الفتاة السمراء التى تتفق مع رأيه فى الحياة ، وأن الحياة لابد أن تتسم بالروح والمادة معا ، فيقول :

السجين الأول : بالطبع اختار السجن أما تغيير أفكارى فلا أقبله بأى حال ، أفكارى هى شخصيتى ، هى ذاتى.
السمراء : وأنا أيضا مثلك. (٢)

وهكذا نرى الحوار المتسارع يدفع الحدث إلى الأمام وفى اتجاه يكشف عن رفض الشخصية المحورية الأولى لهذا الزمن بعدما رأى الإنسان يتحول إلى آلة ، وكأن الحكيم يقول إن اندفاعنا نحو العلم بهذا الجنون سوف يؤدى بنا إلى الفناء ، رغم أن المساعى كلها تتجه ناحية الخلود ، ولكنه خلود آلة لا خلود إنسان لذا كانت كلماته مرتجفة متسارعة تتسم بالرفض ، ومن ثم فقد كثر الحوار التوضيحى فى هذه المسرحية على حساب الحوار المتسارع.

ثالثا: الحوار الواقعى.

يقصد بالحوار الواقعى الحوار الذى يكون مطابقا لما يجرى فى الحياة ، "وهو الذى يكشف عن الشخصية ويجلو الموقف.. وفق ما يقع فى الحياة بالضبط ، على

(١) رحلة إلى الغد.توفيق الحكيم ص٢٨
(٢) رحلة إلى الغد.توفيق الحكيم ص١٥٣

أنه من العسير الشديد العسر إنشاء محادثة طبيعية تماما إذا كان لابد أن تسهم كل عبارة فى تطوير المسرحية وإذا كان حتما أيضا أن تكشف كل عبارة وكل كلمة عن المعالم الجوهرية فى الشخصية "(١)

وقد كانت حوارات الحكيم واقعية جدا ومنسجمة مع طبيعة البيئة والعصر والشخصيات ، فنحن فى أهل الكهف وهى مرحلة تاريخية تتسم بسمات تاريخية مميزة ، وفى لو عرف الشباب فى مرحلة واقع عصر الحكيم ، وفى رحلة إلى الغد استشراف للمستقبل ، لذا اتسمت كل مسرحية بخصوصية فى الحوار تتناسب مع المرحلة التى تصورها.

فنرى فى أهل الكهف حوارا يمثل الواقع بين الملك وغالياس وبريسكا :

غالياس : (يدخل مهرولاصائحاً معلنا) **يا مولاى هم هم..**

الملك : (مفاجئًا يرتبك) **من؟**

غالياس : أهل الكهف.

بريسكا : (فى صيحة خوف خافتة) **آه..**

الملك : (فى رعدة) **كيف ؟ كيف يا غالياس ؟ كيف جاءوا ؟**

غالياس : جاء بهم إليك رهط من الناس يامولاى..وها.. لعلهم اجتازوا الآن باب القصر.

بريسكا : (فى خوف) **غالياس تعال إلى جانبى لا تتركنى.**

غالياس : (فى حماسة) **فلنستقبلهم يا مولاى فلنستقبلهم أحسن استقبال.**

الملك : (بلا حراك) **نعم فلنستقبلهم..**

بريسكا : أبتى لا تستقبلهم إنك خائف صوتك يتهدج فرقا.

---

(١) فن الكاتب المسرحى للمسرح والإذاعة والتلفزيون والسينما تأليف روجر. م بسفيلد ص ٢٤٤ ترجمة وتقديم درينى خشبة طبعة نهضة مصر القاهرة ١٩٧٨م

الملك : أنا ؟

بريسكا : نعم أقسم أنك خائف.

غالياس : مولاتى إن الملك مؤمن والمؤمن لا يخاف القديسين.

الملك : صدقت يا غالياس. صدقت (الضجة تدنو منهم.. فى اضطراب خفيف).

اسمع ! ها.. هم..

غالياس : فلأهرعن إذن إليهم.

بريسكا : (تستوقفه) **بل ابق هنا كما قلتلك** (١)

فحالة الخوف والفزع هذه واقعية من جانب بريسكا والملك ، لأنهم يتصورون أن يقابلوا أشباحا ، وهذه الواقعية تمثلت فى كلمات مثل قول بريسكا لغالياس كن بجانبى ، لا تتركنى. ويبدو الرعب فى تكرار الكلمات بما يعكس حالة الارتباك والقلق ، وكل هذا يستمده الحكيم من قول الله تعالى : (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا)، كما تتجلى الواقعية فى ثبات غالياس وعدم اهتزازه لأنه يملك قلبا يفيض إيمانا ، كما يتسم هذا الحوار بالواقعية اللغوية فنرى بريسكا تقول آه ، كما إنها وصف خوف أبيها بكلمات ذات قوة وفخامة تتناسب ولغة الملوك مثل يتهدج ، فرقاً وهذه اللغة مناسبة للقص التاريخى.

ونرى الواقعية بادية بصورة كبيرة فى أول المسرحية عند يقظة أهل الكهف بعد نومهم الطويل يقول:

مشلينيا : مرنوش كم لبثنا ها هنا ؟

مرنوش : يوما أو بعض يوم.

مشلينيا : ومن أدراك ؟

مرنوش : وهل ننام أكثر من هذا القدر ؟

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٥٤/٥٥

مشلينيا : صدقت.(صمت)(وفجأة يقول وهو نافذ الصبر) **أريد الخروج من هذا المكان.**

مرنوش : ويحك ! إلى أين ؟

مشلينيا : أو تريدنى على المبيت هنا ليلة أخرى؟

مرنوش : ليلتين أو ثلاثا حتى نأمن على حياتنا من دقيانوس.

مشلينيا : (صائحا متذمرا) **لا أستطيع لا أستطيع.** (١)

وهذه الكلمات استمدها الحكيم من القرآن الكريم فى جلاله وجماله ، ولكنه فى نهاية الحوار بدأ يهييء للأحداث التالية ومدى شغف مشلينيا وتطلعه للخروج.

*وفى مسرحية لو عرف الشباب فقد استطاع أن يجعلها اجتماعية علمية ، فظهرت فيها ملامح المجتمع وما يتسم به من خصائص وسمات ،من ذلك قوله :

الدكتور : أعلنها ؟ أأنا مجنون ؟ إنى لم أخبر أحدا بأمرها إلا الآن أنسيت يا باشا أننا فى مصر؟ لم أخلق لنفسى أعداء وخصوما وحسادا فى طرفة عين ؟ أيستطيع رجل نافع أن يظهر فى بلادنا دون أن تتألب عليه الحشرات السامة ؟ وتتحالف على مجهوده العناصر التافهة بكل ما لديها من وسائل وأساليب وقوى

الباشا :هذه الزجاجة أرنى عن قرب ، هذه الزجاجة (يخرج منظاره ويضعه على عينه)

الدكتور : (يدنيها من نظر الباشا) **سائل لا لون له**

الباشا : (كالحالم) **نعم ولكنه يلون الحياة بأزهى الألوان** (٢)

فتتبدى صور المجتمع كما يراها الحكيم فى كلماته بصورة واضحة شديدة ، وتتجلى واقعية الحوار فى استخدام كلمات اجتماعية مثل إجازة الصيف ، وكلمات

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ١٠

(٢) لو عرف الشباب.توفيق الحكيم ص٤٥

أخرى علمية مثل ، تجديد الخلايا ، ونرى ملامح المجتمع فى الفترة التى تدور فيها أحداث المسرحية وخاصة فى الألقاب مثل : الباشا ، الدكتور ، هانم ، تيزا...

وحين يحاول الباشا أن يعيش حياة الشباب نراه يقفز من النافذة فيقول له الطبيب : تصفر لى أيضاً ، أعقل يا باشا..فيقول له الباشا : دعنى أفرح بشبابى ، وهى لغة تقترب من العامية.

وتتردد كلمات كثيرة على ألسنة الشخصيات تكاد تكون عامية ومعبرة عن واقع لغة المجتمع ، مثل : ألو ألو من يا فندم؟.. مسافة الطريق ،.. ما كل مرة تسلم الجرة ، ونرى واقعية الحوار الذى يدل على الانفعال حين ترتجف الكلمات على لسان الطبيب وقد سألته نبيلة ابنة الباشا عنه ، فقال : ذهب.. ذهب.. أعنى خرج ، ثم يقول مخبراً عن مكانه : نعم.. نعم.. التلفون.. كلوب محمد على ، فالحوار كشف عن حالة الارتباك النفسى التى يعانيها الطبيب ، وبهذا نرى واقعية الأداء والحوار فى مسرحية لو عرف الشباب التى تصور المجتمع.

*أما فى رحلة إلى الغد فقد اتسمت بالخيال البعيد المدى ، فهى مسرحية تنبؤية ، ومع هذا فالمواقف الاجتماعية بادية فى الفصل الأول من ذلك قول السجين الأول :

الطبيب: إنى حقا آسف،كنت أريد أن أدخل على نفسك شيئا من الراحة والهدوء.

السجين : إنى هادئ.

الطبيب :.. اترك التفكير فى الماضى وفكر فى.. فى.

السجين : (هازئاً) **فى المستقبل ؟**

الطبيب : (مرتبكا) **أقصد !**

السجين :... المستقبل حبل فى عنقى وخاتم الخطبة فى أصبعها.[١]

(١) رحلة إلى الغد.توفيق الحكيم ص٢٦

فواقعية الإحساس والانفعال بادية بوضوح فى هذا الحوار الذى كشف عن الأحداث والانفعالات النفسية للشخصية.

كما غلبت الألفاظ العلمية بصورة واضحة جداً فى هذه المسرحية.

وبعد.. فقد كانت لغة الحكيم مناسبة لكل حالة عصرية ومنسجمة مع الزمن الذى تعرضه كل مسرحية ، كما اتسمت حواراته بالتنوع بين الحوار التوضيحى والمتسارع والواقعى وإن كان التوضيحى أكثرها ظهورا وتجليا فى المسرحيات لأن الحكيم يحتاج إلى هذا النوع الحوارى فى المسرح الذهنى ، وقد لاحظ النقاد فى مسرحية أهل الكهف " أن عباراتها فضفاضة مهلهلة لا تستقر فيها المعانى الغزيرة التى كانت تتثال على ذهنه ، ولذلك كان يلجأ كثيرا إلى الاقتباس من القرآن ومن عبارات غيره ؛ ليؤدى بعض المعانى التى كانت تجول فى ذهنه"(١).

ورغم هذا فقد وقع الحكيم فى بعض الأخطاء الحوارية كان أظهرها غنائية الحوار يعلق د/ طه حسين على مسرحية أهل الكهف قائلاً " فقد غلبت الفلسفة وغلب الشعر على الكاتب ، حتى نسى أن للنظارة حقوقاً يجب أن تراعى فأطال فى بعض المواضع ، وكان يجب أن يوجز ، وفصل فى بعض المواضع وكان يجب أن يجمل ، وتعمق فى بعض المواضع وكان يجب أن يكتفى بالإشارة ، هذا العيب عظيم الخطر لأنه يجعل القصة خليقة أن تقرأ ، لا أن تمثل " (٢)

نرى هذا الاستطراد والتفصيل الحوارى فى حديث يمليخا عن مأساته التى عاناها حين رأى فى عيون الناس الاستنكار والرعب منه [أهل الكهف ص ٧٩]، وكذلك حديث بريسكا عن فتى جزر اليابان [أهل الكهف ص١٦٧]، وكذلك حديث الباشا عن صراعه مع الزمن الذى عاد فيه شابا يشقى أكثر من أن يسعد [لو

(١) الدراسات الأدبية الجزء الأول تأليف :محمد الفاسى ، عمر الدسوقى ، محمدالصاق عفيفى ، ص ٢٢ ، طبعة دار الفكر الطبعة الثانية سنة ١٩٧٠

(٢) فصول من الأدب والنقد د/ طه حسين ص ٩٧ طبعة دار المعارف

عرف الشباب ص ١٢٤] ، وحديث السجين عن زوجته التى خدعته[رحلة إلى الغد ص ١٨]، وهذا كله يدل على نزعة خطابية تميل إليها نفسية الحكيم.

ورغم هذا فالحوار فى مجمله معبر عن أفكاره ومناسب للفكرة العامة فى المسرحيات الثلاث ، حيث لم تتكرر هذه الغنائية ولا هذا الاستطراد إلا فى مواقف محدودة من المسرحيات.

المبحث الثانى
الشخصيات المسرحية

من عناصر البناء الفنى للمسرحية دراسة ملامح الشخصية وطبيعتها فى العمل المسرحى ومدى ارتباطها بواقعها الذى تجسده أو تعبيرها عن رؤية الأديب المسرحى وفق ملامح تكوينها النفسى والاجتماعى والجسدى ، وقد عرفها د /إبراهيم حمادة بقوله:" هى مصدر الحبكة الدرامية التى يمكن أن تتطور من خلال الأفعال والأقوال التى صدرها الشخصية "(١)

فهى عنصر مهم فى تكوين العمل المسرحى، وتدفع الحوار، وتحمل الأفكار، والشخصية بملامحها وسماتها وطبيعتها وسيلة لتقديم الفكرة التى يريدها الكاتب.

والشخصية بما تحمل من " المكونات الجسمية والفكرية والخلقية والقيم والعادات.. تمثل تنظيما فريداً إذا أصيب جانبه المادى بأذى وانعكس هذا على الشخصية وأصيب بالشذوذ والانحراف "(٢)

فالشخصية لها دور هام فى العمل المسرحى ، وعلى الكاتب أن يراعى أبعادها النفسية والجسدية والاجتماعية ، وأن تتفق وتنسجم فى مجملها العام فى سلوكها ، فالرجل المفكر المتأمل غير الانفعالى المندفع ، والرجل الحسى غير الروحى والشخصية المريضة أو الشائهة الخلقة لها نفسية غير نفسية الشخصية الصحيحة السوية ولها تصرفاتها المميزة بل إن الظواهر الجسمية العارضة كثيرا ما يكون لها أكبر الأثر على السلوك البشرى ، كما أن طبيعة الأسرة والبنية

(١) معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية ص ١٥٥

(٢) الشخصية الشريرة فى الأدب المسرحى.د. عصام بهى ص ١٠٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م

الاجتماعية والطبقة التى تنتمى إليها الشخصية والمهنة التى تزاولها أثر كبير فى السلوك البشرى " [١]

من هنا فلابد أن تتباين الشخصيات فيما بينها فلا تكون على صورة واحدة لأن هذا يفقدها الثراء ويجعل المسرحية معيبة ، ويمل منها الجمهور ، وهذا الاختلاف لابد أن ينعكس فى اللغة والأفكار والاتجاهات وردود الأفعال حسب الأبعاد الفردية لكل شخصية.

وتعامل الأديب مع الشخصية التاريخية لابد أن يتسم بالحذر فلا يضيف إليها صفة مستغربة منها ، أو فعلا لا يتفق مع تكوينها التاريخى الذى ارتسم فى المخيلة من خلال معرفتنا التاريخية بها ، لأن هذا يفصل بين الشخصية والجمهور.

وقد حدد د.محمد يوسف نجم مقومات الشخصية المسرحية فى نقاط : [٢]

١. قدرة الشخصية فى الحديث عن نفسها.
٢. ضرورة أن ترسم الشخصية ملامحها من خلال أقوالها وأفعالها.
٣. صدق الكاتب فى رسم الشخصيات والتعبير عن حقيقتها.
٤. أن تكون الشخصية ممكنة الحدوث وليست أسطورية.
٥. أن تتفق أقوال الشخصية مع أفعالها.

مراعاة الفروق بين الشخصيات حسب طبيعة وعقلية كل شخصية.

وتنقسم الشخصيات إلى قسمين : شخصيات محورية وشخصيات ثانوية.

أولا: الشخصية المحورية.

(١) الأدب وفنونه د.محمد مندور ص ٩٩/ ١٠٠ دار نهضة مصر القاهرة ١٩٧٧م

(٢) المسرحية فى الأدب العربى الحديث.د. محمد يوسف نجم ص ٤٠٧ طبعة بيروت الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٠ /١٩٨٠م (بتصرف)

هى" الشخصية التى تلعب الدور الأساسى فى المسرحية كنص مكتوب،وهى الشخصية التى تلتقى حولها الأحداث التى تؤثر فيها وتتأثر بها أكثر من غيرها من شخصيات العمل المسرحى، وهى التى تمكث مدة أطول على خشبة العرض المسرحى"(١)

والشخصية المحورية فى أهل الكهف تتمثل فى أربع شخصيات هم أصحاب الكهف الثلاثة وبريسكا ، وقد اختار توفيق الحكيم أن يكون أصحاب الكهف ثلاثة فقط لأن بهم يتحقق الهدف الدرامى المتمثل فى صراع الزمن ، فلا داعى لزيادة أعداد وشخصيات لا تقدم جديداً للرؤية العامة عند الحكيم، وقد اعتمد على تفسير النسفى فى هذه الأسماء ، وقد اختلق شخصية بريسكا وجعلها شخصية محورية رغم أنها لا وجود لها فى التاريخ وهى شخصية ذات دلالة رمزية ، وسوف يعرض البحث كل شخصية بما يكشف عن طبيعتها.

١. مرنوش

أحد الثلاثة الذين فروا بدينهم من دقيانوس ، وهو شخصية متقلبة بين التعقل والتريث ، ففى بعض الأوقات يبدو عاقلاً متريثا قادرا على ضبط نفسه حين يقول لمشلينيا الذى يحاول الخروج من الكهف :

مشلينيا : أو تريدنى على المبيت هنا ليلة أخرى؟
مرنوش : ليلتين أو ثلاثا حتى نأمن على حياتنا من دقيانوس.
مشلينيا : (صائحا متذمرا) **لا أستطيع لا أستطيع.**
مرنوش : ولم أستطيع أنا ، وأنا ولىّ امرأة وولد أعزهما وأعبدهما (٢)

(١) صورة المرأة فى مسرح توفيق الحكيم د. عبد اللطيف الحديدى ص ٢٤١دار السعادة للطباعة الطبعة الأولى ١٤١٩/١٩٩٨م
(٢) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ١٨

ولكنه يتهور فى بعض الأوقات ويبدو سريع الغضب حين تتحكم فيه عاطفته وشوقه لزوجه وولده :

يمليخا : كم تحب أهلك ؟

مرنوش : إنى إنما أحيا بهما ولهما.

يمليخا : صبراً إن رحمة الله قريب.

مرنوش : حقيقة! قرب السماء من الأرض تلك الرحمة التى لا تسعف إلا من يستطيع الانتظار ! (١)

وهكذا أعطانا الحكيم صورتين متضادتين لمرنوش الأولى صورة العاقل المتريث وخاصة حين يتحدث إلى مشلينيا وكأنه يحجم اندفاعه بتريثه هو ، والثانية صورة المندفع وخاصة مع يمليخا الذى امتاز بهدوء النفس والسكينة.

كما وصفه بالإنسان العطوف الحنون بابنه وزوجته وهذا واضح من النص السابق ، وظهر أيضاً فى ثوب المخلص لصديقه مشلينيا:

مشلينيا : بفضل رأيك ومعونتك ، مرنوش ، حقا لست أنسى حرج موقفك يومئذ وقد لبثت بعد ذهابنا ترقب عودتنا وتقول لدقيانوس إذ يسأل عن ابنته أنها مع وصائفها فى الحمام. (٢)

وقد أخطأ الحكيم خطأ فادحا حين وصف مرنوش بضعف الإيمان وظهر هذا جليا فى نهاية المسرحية فيقول بعد كلام طويل حول نومهم ويقظتهم وما رأوه خارج الكهف:

مشلينيا : (فى قلق) **مرنوش ؟ أنت إذن لا تؤمن بالبعث ؟**

مرنوش : أحمق ! أولم نر بأعيننا إفلاس البعث !؟

مشلينيا : أستغفر الله ! أنت الذى عاش مسيحياً تموت الآن كوثنى؟

---

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ١٠

(٢) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٣٢

مرنوش : (فى صوت خاقت) **نعم أموت الآن...**

مشلينيا : مجردا من الإيمان...

مرنوش : مجردا... عن كل شىء... (١)

وأيضا جعل سبب إيمانه بالمسيحية حبه لزوجته فيقول له مشلينيا :

مشلينيا : لولا امرأتك المسيحية لما كنت اعتنقت دين المسيح (٢)

كان الأولى بالحكيم أن ينأى بنفسه عن أن يصف أحد فتية الكهف وهم من وصفهم الله تعالى بالإيمان والهدى بمثل هذه الصفة ، ولا أجد لهذه الصفات التى لا تتفق مع الطبيعة التاريخية للشخصية مبررا دراميا أو فنياً ، وهو أمر مرفوض من الحكيم قطعاً.

٢. مشلينيا.

الوزير الثانى لدقيانوس والمحب لابنته بريسكا وصديق مرنوش الوفى ، اتسم بالإيمان ولكن ليس بقوة إيمان يمليخا وليس بضعف إيمان مرنوش ، وهو نفسه يقر بهذا:

مرنوش : (فى تهكم)**وأنت ماذا فهمت منه ؟**

مشلينيا : فهمت أنا بعيدان عن الله وأن قلبينا مشغولان بغير الله(٣)

وهو مع ضعف إيمانه الذى أقر به يرفض فى نهاية المسرحية أن يمسك يد صديقة حين يحتضر لأن مرنوش يموت وثنياً حين أنكر البعث :

مرنوش : وقتما تلحق بى ضع يدك فى يدى اليمنى..

مشلينيا : حاشا أن أضع يدى فى يد وثنى ! (٤)

---

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ١٥٦

(٢) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٣٠

(٣) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٢٢

(٤) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ١٨

ومن صفات مشلينيا أيضا اندفاعه فى الحب فبدا فى ثوب المحب المتهور الذى لا يصبر على لقاء محبوبته ، ويلومه مرنوش على اندفاعه الذى جعل دقيانوس يعلم بأمر اعتناقهم المسيحية بعدما ذكر ذلك فى رسالة أرسلها لبريسكا ووقعت فى يد دقيانوس ومن ثم هم الآن فى الكهف ، ويظهر هذا الاندفاع فى تلهفه لمقابلة بريسكا الحفيدة وانتظاره لها فى بهو الأعمدة.

وهو محب لصديقه مرنوش مخلص له فقد ساعد صديقه فى إعداد بيته وكان يقوم على حاجة أهله حتى أنه كا يخيط ثياب ابن مرنوش ويأتيهم بالطعام ، خاصة أنه لاأحد يعلم شيئاً عن بيت مرنوش ، وقد وصف مشلينيا ومن قبله مرنوش بالأنانية ، فيقول :

مشلينيا : بل إنت لا تفكر منذ جئنا هنا إلا فى نفسك وفيما يعرضك للخطر.
مرنوش : إنى لست مثلك يسهل محو كل شىء طيب من ذاكرته.(١)

وهكذا نرى الشخصيتين المحورتين فى المسرحية تتسمان بما يتسم به الناس من ضعف ، فقد رفضا أن يقال لهما لقب القديس ، وحاولا أن يظهرا فى صورة مقبولة من الناس ،وهذا كله جيد ، لكن غير المقبول أن يصفهما الحكيم بضعف الإيمان.

وقد أخطأ الحكيم حين جعل مشلينا . وهو وزير الملك . يقوم بأعمال لا يمكن أن تصدر عنه ، إذ كيف أن يقوم بأعمال الخدم من فرش للمنزل ،وحمل للطعام ، وحياكة الثياب لابن مرنوش الرضيع ، وهذه كلها أفعال لا يمكن أن تصدر عن وزير الملك ، حتى وإن برر ذلك بأنهم لم يأمنوا خادما ، فهذا أمر غير منطقى.

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٢٨

٣ . يمليخا

الشخصية المحورية الثالثة ، وهو راع لا ماضى له إلا غنم تركها ترعى الكلأ، ويصحبه دائما كلبه قطمير . فهو الشخصية التى تمثل تعلق الإنسان بالمال فى الحياة ـ، ولا نعلم شيئا عن ماضيه إلا أنه جلس إلى راهب يتكلم فى جمع صغير بجوار سور بستان فى أطراف طرسوس ،فيقول عن نفسه بعد أن سمع كلام الراهب :

يمليخا: إذ بى كأنى إنساناً آخر ، وكأن عينى تريان ما كانتا عنه غافلتين[١]

فهو مؤمن إيمانا عميقا وتجلى هذا بصورة واضحة فى حواراته المتكررة مع مرنوش ومشلينيا ، وهو يؤمن بالقدرة الإلهية حتى وإن كان هذا الأمر مستحيل الوقوع عقلا، فحين يقول أن المدة التى ناموها فى الكهف قد تكون شهرا مستدلا بقصة روتها له جدته عن راع احتمى بغار من السيل فنام شهرا وخرج بعد أن انتهى السيل يستكرون قوله هذا :

مرنوش: تلك أساطير عجائز
يمليخا : إنى أومن بهذه الأسطورة ، ولا أرى فيها عجبا ، لقد قيل إن الحثث لا تفسد فى الغار لرطب المكان فكيف والشهر ممطر ، وكيف وإرادة الله والمسيح تشاء النجاة لذاك المؤمن ![٢]

فشخصية يمليخا ثابتة لا تتغير ، ولا يصفه الحكيم بشىء إلا صفة الإيمان الخالص بالله تعالى ، والعجيب أن الحكيم يجعل شخصية يمليخا تتسم بالعمق والتأمل " فهذا الراعى الذى ارتبطت حياته بحرفة الرعى وارتياد السهل والجبل والبحث والتتبع لمواطن العشب والكلآ ، هذا الراعى البسيط فكريا والمحدود عقلاً

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٢٨
(٢) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٣٧

وثقافة قد بدا لنا فى صورة الفيلسوف المتأمل . أحياناـ وأنه أحس بكلام الراهب إحساسا ملأ عليه جوانحه وأحال مجرى حياته فصار ينطق بما يشى بأننا أمام فيلسوف يتناول أدق الأسرار الوجدانية ، ومثل هذا الأمر لا يتصور من عقلية ساذجة ، ولا يتفق مع طبيعة الراعى ومزاجه النفسى المؤطر بأطر معينة"[١]

وهذا أمر عجيب أن يصف الحكيم هذا الراعى بالثبات والإيمان ، ويجعل الوزيرين اللذين ضحيا بمكانتهما وحياتهما من أجل الإيمان يظهران بصورة كهذه من ضعف الإيمان.

٤ . بريسكا

هى الشخصية المحورية المزدوجة الأكثر تعقيداً والتواء فى المسرحية فنحن أمام شخصية بريسكا الجدة وبريسكا الحفيدة ، ولكل منهما طبيعة مختلفة ، فالجدة تمتاز بالرقة والهدوء والإيمان العميق بالله عز وجل رغم قسوة الظروف حولها ، وتتسم أيضا بالحب والإخلاص فترفض الزواج بعدما اختفى حبيبها مشلينيا وتموت عذراء ، فتقول دائما : **إنى أنتظر كل يوم وسأنتظر ولن أمل الانتظار حتى يعود.** أهل الكهف ص ٤٤، وهى شخصية تحب العزلة خاصة فى المكان الذى كان يجمعها بحبيبها وهو بهو الأعمدة، وقد حُملت إليه كى تحتضر هناك :

غالياس: نعم ، لقد كانت تحب العزلة دائما فى هذا البهو ، ولما احتضرت فى حجرتها طلبت أن تحمل فى النفس الأخير لتموت فى بهو الأعمدة ![٢]

كما أنها اتسمت بهدوء النفس والطباع ، وفى المقابل نرى بريسكا الحفيدة تحمل جانبا كبيرا من ملامح جدتها لدرجة أن اختلط الأمر على مشلينيا فظنها

(١) مجلة كلية اللغة العربية بالمنصور العدد السادس عشر الجزء الأول ص ٦٢/٦١ سنة ١٤١٧ ، ١٩٩٧م

(٢) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٤٥

محبوبته ، إلا أنها لم تكن فى طباع جدتها فقد كانت ذكية الفؤاد عالية الفكر ، ويلاحظ ذلك مشلينيا فيقول :

مشلينيا : إن بريسكا الساذجة البسيطة التى كنت أقرأ لها خفية الكتاب المقدس وهى لا تكاد تفهم عنه ، قد قلبها الحلم أمام عينى امرأة ذكية الفؤاد عالية الفكر !(١)

فبريسكا الجدة تختلف عن الحفيدة وإن جمعهما الشكل ، وهذا هو الزمن الشكل واحد على مر السنين وملامح وحركة الكون كلها واحدة ، ولكن مضمون ثلاثمائة سنة خلت غير مضمون اليوم ، وهذه هى أزمة المضمون التى عاناها أهل الكهف ، وقد كانت بريسكا رمزاً قوياً لهذا المعنى فهى رمز الزمن الذى لا يتبدل شكله ، ولكن يختلف مضمونه اختلافا كبيراً ، ويظل مشلينيا وأصحابه رمزاً للإنسان الذى يحاول أن يتحدى الزمن ولكن دون جدوى.

وقد وصف الحكيم بريسكا الحفيدة بصفات أخرى ففيها حدة ورعونة حتى أنها تخاطب معلمها قائلة :

بريسكا: إنك لا تعرف قلب المرأة يا غالياس لأنك أحمق !(٢)

وتعامل مشلينيا بخوف شديد فى البداية ، ثم بقسوة بعد ذلك ،وتتهمه بالجنون ، وتحاول أن تفر منه وقد انتظرها فى بهو الأعمدة ، ثم نرى بعد ذلك وبدون أى مبرر نرى بريسكا تذهب إلى الكهف لتدفن معهم ، وتخاطب مشلينيا . الذى كانت تفر منه رعبا من قبل . بالحبيب :

بريسكا: بل عش لى.. عش لى.. لا تمت. إنى أحبك !(٣)

وهكذا نرى بريسكا ذات دلالات رمزية.

---

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٤٥

(٢) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٤٤

(٣) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ١٦٢

وقد ذهب بعض النقاد [١] إلى أن شخصيات أهل الكهف سلبية وأنها أصابها الوهن وقد رد عليهم الأستاذ محمد عبد الوهاب صقر فقال : "ونحن لا نقر هؤلاء النقاد الكبار على هذا الرأى لأن مجريات الأحداث فى المسرحية تحتم عليهم هذا التصرف كذلك ، فإن مشلينيا حاول أن يصمد رغم علمه بمرور الزمن.. ولم يعد إلى الكهف إلا بعد أن فقد كل وسيلة ليجذب إليه قلب بريسكا " [٢]

وهذا قول له وجاهته فالمسرحية تسعى لفكرة ذهنية محددة ، وهى انهيار الإنسان أمام الزمن ، لذا فسلوك الشخصيات كلها يتسق مع هذا المنحى الفكرى ، لكن الغريب أن نرى بريسكا الحفيدة التى عاملت مشلينيا بقسوة وكانت تبقى على حياتها بل ويصيبها الرعب حين ترى أهل الكهف تذهب إلى الكهف لتدفن معهم دون وجود أى مبرر درامى لهذا السلوك الغريب.

ثانياً : الشخصيات الثانوية.

الشخصية الثانوية أو الشخصية المساعدة هى التى " لها وظيفة فى مجرى الأحداث ولكنها ليست وظيفة ضرورية هامة لتطوير الحبكة الدرامية "[٣]

وقد تكون الشخصية المساعدة غير مؤثرة فى العمل المسرحى ، فلا تدفع الحدث إلى الأمام ، وقد تكون ذات تأثير قوى فى المسرحية بدفعها للحدث ، ولكن يلاحظ أنها شخصية لا يظهر من ملامحها إلا وجها واحدا ، ولا نعرف من صفاتها إلا ما يكون فى إطار الحدث.

والشخصيات المساعدة فى أهل الكهف هى :

---

(١) منهم د محمد مندور والدكتور عبد العظيم أنيس والأستاذ محمود أمين العالم والدكتور سلامة موسى.

(٢)الروائع السبع لمسرح توفيق الحكيم. محمد عبد الوهاب صقر ، ص ٨٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م

(٣) معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية ص ١٥٧

١. الملك ، وهو رجل متدين طيب القلب ، وهذا لا شك سيكون عاملا من عوامل قبول أهل الكهف للعيش فى ظلال حكمه العادل مما قد يساعدهم للالتحام مع الزمن ، وهو رجل يعتبر ظهور القديسين فى عصره شيئاً عظيما :

غالياس: لقد أظهرهم الله فى عصرك السعيد يا مولاى لأنك مسيحى مؤمن بإله واحد ، ولأن عصرك عصر المسيحية الزاهرة !(١)

٢. غالياس وهو مؤدب الأميرة بريسكا وهو رجل وقور على علم بالدين والتاريخ ، حتى إنه يعلم بخبر أهل الكهف وأسمائهم ، وأظن أن الحكيم قد قدم صورة الملك المؤمن وغالياس المؤدب العالم بالتاريخ وخبر فتية كهف الرقيم حتى يكون مسوغاً قويا لقبول المجتمع لأهل الكهف ومن ثم حياتهم بصورة طبيعية ، ورغم هذا فقد فروا إلى الكهف استجابة لسلطان الزمن.

٣. الصياد ، ويقتصر دوره على اكتشاف مكان الكهف وكذلك الإشاره إلى وجود فجوة زمنية من خلال حديثة ليمليخا وقد استطاع أن يدفع بذلك الحدث إلى الأمام خطوة بتقديم أهل الكهف للمجتمع ، وتنبيه يمليخا بأن هناك فارق زمنى كبير من خلال قوله من أين أتيت بهذا الكنز؟ ، وقد ظهر فى نهاية المسرحية مصاحبا للملك والحاشية على باب الكهف ، واقترح أن توضع معاول مع أهل الكهف عساهم أن يعودوا.

٤. الراهبين ، وهم من صاحبا الملك وساعدا فى غلق بابه على أهل الكهف.

وفى المسرحية بعض الشخصيات الغائبة مثل شخصية الراهب الذى كان يعظ جمعاً صغيرا بجوار سور من أسوار طرسوس ، وسمعه يمليخا وتأثر بكلامه ، وكذلك شخصية العراف الذى تنبأ بأن بريسكا سوف تشبه جدتها.

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٤٩

هذه هى الشخصيات فى مسرحية أهل الكهف وقد ظهرت فى صورة الدمى التى يحركها الحكيم كيفما شاء من أجل تصوير فكرته الذهنية ، لذا خرجت عن الإطار التاريخى ، كما استحدث بعض الشخصيات مثل بريسكا، كل ذلك من أجل خدمة فكرته الذهنية عن صراع الزمن.

*** مسرحية لو عرف الشباب.**

أولا : الشخصيات المحورية

تتمثل الشخصيات المحورية فى مسرحية لو عرف الشباب فى شخصيتين هما :

١ .الباشا

هو: صديق باشا رفقى رجل فى شيخوخته وقور متزن له مكانة اجتماعية وسياسية تؤهله لأن يكون رئيسا للوزارة ، يعيش فى رغد من العيش فى قصره مع أسرته (زوجه وابنته) يمتاز بلباقة الحديث والقدرة على استجلاب الحجة والبرهان ، لذا استطاع بسهولة أن يقنع الطبيب أن يحقنه بالحقنة الملعونة التى أعادت إليه شبابه ، وأظن أن الحكيم قد جعل شخصية الباشا تتسم بقوة الحجة والبيان ليدل على أنه دخل فى فترة زمنية غير زمنه بإرادته بل بسعيه وإصراره مما قد يدعوه للاستمرار فى الحياة الجديدة وتحديه للزمن ، ولكن حدث العكس تماما فقد فر من شبابه بمبررات وحجج أقوى من مبررات عودة الشباب إليه .

وهو شخصية تحب المرح والانطلاق :

صديق: شاب فى فورة الشباب مثلى لن تنتظر منه أن ينام من المغرب وفى البلد صالات وكباريهات وراقصات وفاتنات ، الحق يا طلعت ، الشباب نعمة ، الشباب متعة. (١)

(١) لو عرف الشباب.توفيق الحكيم ص ٧٥/٧٦

ويختلف الباشا هنا عن أبطال أهل الكهف أنه حاول جاهدا أن يجد لنفسه مكانا فى هذه الحياة بذكائه ولباقة حديثه ولكن دون جدوى ، أما أهل الكهف فقد فروا سريعا من هذه الحياة ولم يتمسك بالحياة إلا مشلينيا الذى تمسك بالحياة بعض الوقت ولكنه فر حينما علم أن بريسكا ليست حبيبته الحقيقة فهو تمسك مؤقت ، وهذا تنوع فى شخصيات الحكيم بين مسرحياته مما يدل على معالجته لقضية الزمن من خلال طبائع بشرية مختلفة ، وفى مسرحيات مختلفة حتى وإن دارت حول رؤية فكرية واحدة.

٢. طلعت (الدكتور)

هو طبيب الباشا ويعمل فى بحوث تجديد الخلايا البشرية وويعمل أستاذا فى الجامعة ، ويبدو طامحا جدا ولكنه يحذر الحساد والحاقدين ممن قد يعرقلون طريقه لذا فهو يرفض أن يعلن عن بحوثه ، ويحذر كذلك أن يجرى تجربة تجديد الخلايا التى تعيد الشباب على الباشا، وهو أيضا مشغول عن زوجته فكل عنايته ببحوثه فقط ، وقد أظهره الحكيم فى صورة متزنة فى أول المسرحية ، ثم لم يلبث أن جعله مجنونا حينما رأى أثر الحقنة على الباشا وأن نجاح تجربته بهذه الصورة المذهلة أفقده عقله ، وأظن أن هذا التغيير فى شخصيته ليس له مبرر إلا أن يزيد من تعقيد المسرحية وخنق الباشا بجنون من يعرف سره وأنه هو الباشا عاد لشبابه ، فكان جنون طلعت بمثابة انقطاع الأمل بين صديق باشا والحياة وهذا لا شك مما يزيد الأزمة ويعقدها ، ولهذا جاء طلعت فى ثوب محورى لأنه ساعد أكثر من مرة وبأكثر من طريقة فى تحويل مجرى الأحداث فى المسرحية ودفعها نحو الأمام وزيادة التعقيد.

أما عن الشخصيات الثانوية فهى :

١. لطيفة زوجة الدكتور طلعت وقد أضافها الحكيم لشخصيات المسرحية لسببين الأول أنه كانت حلقة الوصل بين الباشا وطلعت ، والثانى أن الحكيم أراد أن

يضفى طابعا اجتماعيا على شخصيات مسرحيته ، وقد أظهرها الحكيم فى صورة كروية فهى متهورة تثور على زوجها وترفض أن تعيش معه وتفكر أن تتركه وتتزوج بصديق باشا الشاب الذى أجبته للباقته تقول :

لطيفة : إنى أنتظر منك كلمة.. إنى أحبك.. ضعى ملابسك فى حقيبة ولنهرب معا إلى أى مكان فى الأرض !(١)

ومع هذا فإنها تنقلب إلى شخصية وفية هادئة رقيقة تجلس بجوار زوجها طلعت.وهذا ما جعلها شخصية متقلبة ، ليظهر الحكيم الجانب الاجتماعى فى المسرحية.

٢.نبيلة ابنة الباشا وهى فتاة ارستقراطية ظهرت فى المسرحية لتكمل الإطار الاجتماعى لأسرة صديق باشا ، ولذا فهى مهتمة بالأزياء فحسب ، وهى خطيبة شاب مهندس اسمه مدحت وهو من الشخصيات المساعدة ولكنه ظهر بصورة كروية ففى الحلم بدا شابا متطلعا يحب أن يعمل عملا حرا يعود عليه بعائد مادى كبير ، ولكنه فى الحقيقة ظهر فى دور الموظف الذى يحب أن يعمل فى الجهاز الإدارى للدولة ليصل إلى منصب اجتماعى مرموق فهو بهذا يساعد على رسم الإطار الاجتماعى فى المسرحية.

٣. جليلة هانم زوجة الباشا ولا دور لها فى المسرحية إلا إكمال الشكل الاجتماعى العام فى المسرحية ، وهى أيضا تمثل صراع الأجيال حين وافقت بإلحاح نبيلة زوجة طلعت ، على زواج ابنة الباشا من مدحت بعد مدة قصيرة من غياب الباشا أو موته كما ظنوا ، فهى شخصية تعيش فى ظل الباشا أو فى ظل العادات والتقاليد، ومع ذلك فهى حازمة قوية حتى إنها تحكى أنها هجرت الباشا عاماً كاملا بسبب تصرف مشين فى شبابه.

(١) لو عرف الشباب.توفيق الحكيم ص ٨٦

وهناك بعض الشخصيات الغائبة مثل شخصية رئيس مجلس الشيوخ.

***الشخصية فى رحلة إلى الغد**

أولا : الشخصيات المحورية

١. السجين الأول :

وهو طبيب متميز والده أيضا طبيب كان يحلم بأن يحقق ابنه أمله فى الشهرة والنجاح الذى لم يصل إليه هو وقد تحقق ذلك ، وهو أيضا عاشق للمعانى السامية والقيم الروحية ، يتسم بالذكاء ، وتوقد العقل ، ولكن تتحكم فيه مشاعره لأبعد الحدود ، لدرجة أنه يمكن خداعه ، خاصة من المرأة التى تنفذ إلى وجدانه ، فقد خدعته زوجته فقتل من أجلها زوجها السابق ، ولم يغير مبدأه فضحى فى نهاية المسرحية أيضا من أجل امرأة تتفق معه فى الرأى ، لذا فإن صديقه يقول له :

السجين الثانى : مرة أخرى تذهب إلى السجن بسبب امراة؟ ![١]

وهو يكره الحياة المادية فيقول :

السجين الأول : نعم أنا الآن فأر فى قفص زجاجى موضوع لدراسة العلماء والهيئات العلمية ![٢]

وهو أيضا هادىء الطباع مستسلم لقدره ، ومع هذا فقد حاول أن ينتقم من زوجته التى زجت به فى السجن بعد أن وسوست له قتل زوجها.

٢.السجين الثانى :

مهندس أو مخترع على حد قوله ذكى جدا عاش حياة بائسة فى ظلال عمه الذى يملك مقهى يأوى المهربين واللصوص ، وهو نفسه يعترف أنه تعلم من

(١) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ١٥٩

(٢) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ١٥٩

خصالهم ، وكان يهوى الهندسة منذ صغره فكان يصلح ساعات زبائن المقهى ، وقد كافح ليدخل الهندسة وحصل على شهادة جامعية ثم إنه سعى ليقدم اختراعا يغير وجه البشرية على حد زعمه ولكنه لم يجد المال ، مما اضطره للزواج من مسنة أظهرت له إعجابها بمشروعه ، ولكنه سرعان ما اكتشف بخلها فقتلها ، وتزوج بعدها بأربع نساء قتلهن وافلتت الأخيرة ليزج به فى السجن ، فهو بهذه الصورة انتهازى مادى ، وقد كان وجوده ضرورى لتفسير بعض الأمور الهندسية فى الرحلة الفضائية ، ووهو بطبيعته المادية يمثل نمطا بشريا فى صراع الزمن ، فقد قبل هذه الحياة الجديدة على الأرض بعد ثلاثمائة سنة بل إنه فتن بها :

السجين الثانى : هذا كلام لا يصح أن يقال.. تريدين تحطيم الآلات والأجهزة وإلغاء التقدم ، لا..لا إننى أخالفك كل المخالفة ، ما أبشع الماضى لو تعرفين ![1]

أما الشخصيات الثانوية فهى :

١. الطبيب ، وهو طبيب السجن متعاطف مع السجين الأول فيحادثه ويساعده بما يملك،وقد أهداه جهاز راديو ليتسلى بأغانيه ،واقتصر وجوده على الفصل الأول.

٢. مدير السجن ،واقتصر دوره على تقديم رجل الهيئة العلمية للسجين ، وكذلك إخباره بأن زوجته جاءت لتزوره.

٣. رجل الجهة العلمية : واتسم بالدقة الكلمات.

٤. السجان.

(١) رحلة إلى الغد. توفيق الحكيم ص ١٣٧

٥. الشقراء وهى نموذج للجمال والفتنة والتقدم الظاهرى فحسب مع افتقادها الكامل للمشاعر حتى إنها تقول للسجين إذا كنت تريد شيئا (تقصد تقبيلها) فلماذا تتكلم عن شيء آخر(تقصد كلمات الحب).فهى مادية لأبعد الحدود.

٦. السمراء وهى تمثل العاطفة والاهتمام بالمشاعر فى حياة الإنسان بعد ثلاثمائة سنة وهى ترفض تحلل أخلاق حزب المستقبل بماديته ، لذا صفعت السجين الثانى حين هم بتقبيلها.

وفى هذه المسرحية تشارك الأصوات بصورة واضحة مثل الصوت الأرضى الذى خاطبهم وهم فى الصاروخ ، وكذلك صوت رجال الأمن حين عادوا إلى الأرض مرة أخرى.

وهناك بعض الشخصيات الغائبة مثل الزوجة التى تظهر فى صورة ملاك وبداخلها شيطان ، والنساء اللاتى قتلهن السجين الثانى ، والمحامى الذى كانت زوجة السجين الأول تدرس معه شأن الميراث ، والزوج البائس المقتول الذى قتله السجين الأول وعم السجين الثانى ، وهذه كلها شخصيات ساعدت على رسم الصورة الاجتماعية لحياة السجينين.

وقد عيب على شخصيات مسرحية رحلة إلى الغد قلتها فالفصل الثانى والثالث لا توجد فيه شخصيات سوى السجينين ، ولعل مبرر ذلك أن الحكيم لم يجعل أبطال شخصياته أناسا أو بشرا بقدر ما جعلهم أفكاراً ومعانى ذهنية قد تتحقق بأقل عدد من الشخصيات ، فهو " يرسم شخوصه بروح العالم النفسى الذى يحلل المنازع ، ويشرح النفوس عن طريق الحوار الذى يجريه على ألسنة هؤلاء الشخوص ، على أن المتمعن فى شخصية بطلى هذه المسرحية يجد أنهما مسوقان من حيث لا يدريان إلى مصيرهما المحتوم ، دون أن تتدخل حوادث المسرحية فى

ترتيب هذا المصير ، بمعنى أن المؤلف أخذ يحرك هذين الشخصين دون أن يترك لأحداث المسرحية تلك المهمة " [١]

ورغم أن المسرحية تتسم بقلة عدد الشخصيات مما قد يسبب لها عقبة فى تمثيلها إلا أنه " لو استطاع مخرج أن يتغلب على نقص شخصيات المسرحية فى الفصلين الثالث والرابع . لعله يقصد الفصل الثانى والثالث . بالذات اللذين لا يوجد فيهما غير البطلين فحسب ، وذلك عن طريق حيوية الحوار والتفاتاته الذهنية الرائعة عن طريق المؤثرات الصوتية وروعة الأداء ، إذ استطاع المخرج معالجة هذا النقص ، فسيخلق من جمود الحركة فى المسرحية نشاطاً وفاعلية " [٢]

(١) مقالات فى النقد الأدبى د. محمد مصطفى هدارة ص ١١٥

(٢) مقالات فى النقد الأدبى د. محمد مصطفى هدارة ص ١١٤

المبحث الثالث

الصراع

هو أحد المقومات الفنية للمسرحية ، وعنصر مهم من عناصر التشكيل الفنى فيها ، وعرفه د. إبراهيم حمادة بقوله: " هو مناضلة بين قوتين متعارضتين ، ينمو بمقتضى تصادمهما الحدث الدرامى " (١)

فهو تحريك للأحداث من ركودها وثباتها ، الذى لاشك أنه يضر بالمسرحية ، والصراع يسعى لبث الروح فى المسرحية ، ومن ثم تندفع الأحداث إلى الأمام فى صورة فيها مناضلة بين طرفيين قويين ، فلا يقبل من المسرحى أن يجعل أحد طرفى الصراع ضعيفاً لأن هذا يضر بالمسرحية ويجعل المدى الدرامى ضئيلاً ، والصراع وحده هو الأقدر على دعوة المشاهدين للانفعال والمشاركة الوجدانية لأحداث المسرحية ، لأنه يعتمد على تحريك العقل والقلب معا.

ولأهمية الصراع اعتبره النقاد عنصرا رئيسا فى المسرحية ، فلا يمكن أن تخلو منه " فإذا خلت المسرحية من الصراع كان أحجى ألا نسميها مسرحية ، ولا أى شىء آخر له صلة بالمسرح " (٢)

وهذا كله يعكس الأهمية التى تكمن فى الصراع المسرحى.

والصراع لابد أن يكون بين طرفين ، وقد يكون أحد الطرفين تحديات طبيعية أو أوضاع اجتماعية أو معانى ذاتية ، ولكن لابد أن يأخذ هذا الصراع فى الصعود والاحتدام إلى أن يصل إلى قمة الصراع ، دون أى ركود أو هبوط يؤدى إلى فقدان المسرحية للحيوية والإثارة ، ويظل فى حالة الصعود إلى أن يصل إلى القمة وتبلغ الأحداث ذروتها من التعقيد ، ثم تندفع إلى نهاية المسرحية.

---

(١) معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية ص ١٦٢

(٢) فن الكاتب المسرحى ص ٢٠

وغالبا ما يبدأ الصراع فى صورة تتسم بالإرهاص الذى ينبىء عن وجود مشكلة ، وللصراع أنماط مختلفة الصراع الداخلى والصراع الظاهرى.

وقد اتسم صراع الحكيم فى مسرحياته الثلاث حول الزمن بأنه صراع داخلى ، "وهو الذى يدور فى النفس البشرية ، أو فى عقل البطل ، أو يدور بين العقل والواجب والضمير من جهة ، وبين العواطف من جهة أخرى " (١)

أولاً : الصراع فى أهل الكهف.

تصمنت مسرحية أهل الكهف حالة من الصراع الشديد بين فتية الكهف وقوة الزمن التى قهرتهم وقد تضمنت فى بدايتها صورة من الصراع الراهص ، الذى يشير إلى بداية أزمة ، حتى وإن كانت هذه الأزمة بعيدة المدى ، وحتى لو لم يظهر لها أثر بعد ، إلا أن الشخصيات تستشعر ذلك فى بداية المسرحية ، فنرى الفتية الثلاثة حين استيقظوا شعروا بتغير فى جسدهم مما جعلهم يقولون :

مشلينيا : (يتمطى) **آه ظهرى يؤلمنى ! كم لبثنا يا مرنوش ؟**
مرنوش : أف إنك تحرج صدرى بأسئلتك.
مشلينيا : أنا كذلك لو تعلم ضيق الصدر مثلك ! مرنوش كم لبثنا ها هنا ؟
مرنوش : يوما أو بعض يوم.
مشلينيا : ومن أدراك ؟
مرنوش : وهل ننام أكثر من هذا القدر ؟ (٢)

ففى أول صفحات المسرحية نرى أهل الكهف يشعرون بأن زمنا طويلاً مضى وهم فى نومهم العميق ، وتعرفوا على طول هذه المدة من خلال آلام ظهورهم ، وهو رمز لألم بدنى وألم معنوى دلت عليه كلمة (أف) و(إنك تحرج

(١) صورة المرأة فى مسرح توفيق الحكيم د. عبد اللطيف الحديدى ص ٢١٢
(٢) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ١٠

صدرى بأسئلتك) ، وربما أراد الحكيم أن يربط بين الماضى فى هروبهم من المذبحة وبين الحاضر الذى يشتاقون فيه لذويهم ، وهذا هو سبب ضيق صدورهم.

وقد كان الحكيم بارعا فى هذا الصراع الراهص حيث إنه اعتمد على التمويه بأزمة وهمية وهى الخوف من المذبحة والخوف من الخروج ، فى حين أن الأزمة الحقيقية سوف تتجلى بوضوح حين يخرجون من الكهف ، فهو صراع فى صورته العامة مرتبط بالماضى ويدور حول المدة التى أقاموها لذا قال مرنوش لمشلينيا احذر لنفسك ولنا فالمذبحة لا تزال قائمة..

ويظل هذاالصراع الراهص فى الفصل الأول ويدور حول الماضى والفرار منه إلى أن يتقدم يمليخا بالأحداث خطوة إلى الأمام دافعا الصراع فى اتجاهه الحقيقى الذى أراده الحكيم ، وبدأ حين خرج يمليخا وصادف الصياد :

مشلينيا : لا يا مرنوش لا تتعجل.

مرنوش : مابك؟

مشلينيا : لقد داخلنى شك.

مرنوش :فى ماذا؟

مشلينيا : فى زمن إقامتنا بهذا الكهف ، ألا تذكر أنى أتيته حليقاً ؟ ها أنذا الآن لحيتى مرسلة وشعرى يتدلى ، ما تنبهت إلى ذلك إلا الساعة وأنا أحك رأسى بظفرى..

يمليخا :نعم نعم أنا كذلك لحظت وأنا أخرج قطعة الفضة للرجل أن أظافرى طويلة على هيئة لم أعهدها من قبل ، ومن يدرى لعل الرجل ارتاع من منظر شعرى المبعثر الأشعث ، نحن هنا فى الظلام لا نلحظ شيئا ولا يرى أحدنا الآخر.

مشلينيا : ترى ألبثنا أسبوعا ونحن لا نشعر ؟

مرنوش :(يتلمس رأسه) **صدقتما أنا أيضا لا أحسبنى جئت الكهف بهذا الشعر كله فى رأسى ولحيتى هذا عجيب ، انظر يا مشلينيا ، لو**

كنت تبصر فى الظلام أكاد بهذه اللحية أشبه القديسين على ما يخيل الى.

يمليخا : لعلنا مكثنا شهرا (١)

فهذا صراع راهص يوحى بالأزمة الكبرى فى المسرحية ، وهو صراع يحاول فيه أهل الكهف أن يجدوا تفسيراً منطقيا لهذه المدة ، فهو يشير إلى مدة مجهولة قدروها بشهر على الأكثر.

ثم يأتى بعد ذلك صراع كل واحد من الثلاثة مع الزمن ورفضهم الحياة فى زمن لا ينتسبون إليه ، كما جعل الحكيم شيئا واحدا يربط بينهم الثلاثة وهو الكهف ، فهو طريقهم لماضيهم وهو الساحة التى ينتهى فيها الصراع ، وقد جعل الحكيم علاقة كل واحد منهم بماضيه سببا فى تأخر عودته إلى الكهف أو سرعته ، فيمليخا راع لا شىء يربطه بالحياة ، لذا كان سيف الزمن قاسيا عليه واحتدم الصراع عنده بسرعة شديدة ، فخضع لسلطان الزمن :

يمليخا : أين مشلينيا ؟ أين مشلينيا ؟
مرنوش : ما بك يا يمليخا ؟
يمليخا : ادع مشلينيا على عجل! ولنذهب.. ولنذهب.
مرنوش : إلى أين نذهب ؟.
يمليخا : إلى الكهف. ثلاثتنا وقطمير معنا كما كنا.
مرنوش : لماذا ؟ ماذا فعلت ؟ ماذا حدث ؟
يمليخا : إلى الكهف ،ثلاثتنا وقطمير معا كما كنا.
مرنوش : لماذا يا يمليخا ؟ أجب.
يمليخا : هذا العالم ليس عالمنا. هذا ليس عالمنا.
مرنوش : ماذا تعنى ؟
يمليخا : أتدرى كم لبثنا فى الكهف ؟

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٣٥/٣٦

مرنوش : أسبوعا(يمليخا يضحك ضحكات عصبية هائلة)شهرا على حسابك الخرافى؟

يمليخا : (على نحو مخيف) مرنوش إنا موتى ، إنا أشباح !!

مرنوش : ماهذا الكلام يا يمليخا ؟

يمليخا : ثلاثمائة عام! تخيل ثلاثمائة عام لبثناها فى الكهف !

مرنوش : مسكين أيها الفتى !

يمليخا : هذا الفتى عمره نيف وثلاثمائةعام : ماهذا ؟ لقد مات دقيانوس منذ ثلاثمائةعام ،وعالمنا باد منذ ثلاثة قرون.

مرنوش : عالمنا باد ؟ وأين نحن إذن ؟

يمليخا : هذا الذى نرى دنيا أخرى ليست لنا بها صلة. (١)

إلى أن يقول : لا أمل لنا الآن فى الحياة إلا فى الكهف.

ففى المشهد يتجلى الصراع فى أقوى حالاته فى نفس يمليخا الذى وقف فى وجه الزمن لفترة ضئيلة جدا فبمجرد أن خرج إلى الناس ورأى نظراتهم وشاهد تغير ثيابهم لم يستطع أن يُحدث أحدا منهم ، ورغم أنه لم يحادثه أحد إلا أنه لاحظ فى عيونهم الخوف والحذر ، ورأى فجوة زمنية بينه وبينهم هنا تعقدت الأمور فى نفس يمليخا واحتدم الصراع فى نفسه خاصة بعد أن فقد ماله المتمثل فى أغنامه ، فقرر الهروب إلى الكهف لأنه يرى فيه شيئا من زمنه ، ويلاحظ أن يمليخا لم يصارع شخصا بل صارع الزمن الذى صرعه وجعله كائنا غريبا عن حياة الناس ، فيعترف بأنه شبح وأنهم جميعا موتى.

أما الشخصية الثانية فقد تمسك بالحياة أكثر لأن له ابنا وزوجة ، فصراعه لاشك سيكون أطول فقد ظن يمليخا مجنونا ، لذا خرج يبحث عن بيته ولكن دون جدوى : فيشعر بحالة الجنون نفسها التى وصف بها يمليخا بالأمس فبعد معاناته الشديدة فى البحث يصيح فى مشلينيا :

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٦٧/٦٨

مرنوش: (صائحا) كفى هراء كفى هراء ، ولدى قد مات ولا شىء يربطنى بهذا العالم هذا العالم المخيف نعم صدق يمليخا ، هذه الحياة الجديدة لا مكان لنا فيها... (١)

وهنا يأتى الصراع فى نفس مرنوش إلى نهايته لذا بدا فى كلماته الألم والهروب من هذا العالم ، فقال ولدى مات.. لا شىء يربطنى بهذا العالم.. لا مكان لنا،وقد وصف تجنب الناس محادثته فقال : هذه المخلوقات ليسوا البشر لا يفهموننا ولا نفهمهم.. حتى العبد الذى كان يصطحبنى ويحمل الهدايا لابنى يبتعد عنى كأنى أجرب أو أبرص ، اليأس والرجاء يقطعان قلبى.... وغير ذلك من الكلمات التى تعبر عن ألم مرنوش.. ومن ثم فقد فر إلى الكهف مثلما فر يمليخا بالأمس ، بعدما اعتبره مشلينيا مجنونا.

وتأتى الصورة الثالثة فى المسرحية ليندفع الصراع إلى أقصى درجاته فيصرع الزمن مشلينيا المحب بعدما أدرك أن بينه وبين محبوبته ثلاثمائة سنة :

يمليخا :لا مرنوش ولا يمليخا رزئا بمثل هذا ، إن بينى وبينك خطوة ، بينى وبينك شبه ليلة ، فإذا الخطوة بحار لا نهاية لها، وإذا الليلة أجيال أجيال وأمد يدى إليك وأنا أراك حية جميلة أمامى فيحول بيننا كائن هائل جبار هو التاريخ ، نعم لقد صدق مرنوش ،لقد فات زماننا نحن الآن ملك التاريخ(٢)

وهنا بلغ الصراع منتهاه حيث ذهب الثلاثة يحتضرون فى الكهف مذعنين لسيف الزمن ، وأنه لا فائدة من نزال الزمن فكانت النهاية الموت فى الكهف ، وقد أوضح الحكيم أن الصراع فى هذه المسرحية ليس صراعا مع الزمن فحسب، وإنما هناك " حرب بين الواقع وبين الحقيقة ، بين واقع رجل مثل مشلينيا عاد من الكهف فوجد بريسكا فأحبها وأحبته ، وكان كل شىء مهيأ يدعوهما إلى حياة من الرغد

(١) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ٩٥
(٢) أهل الكهف.توفيق الحكيم ص ١٣٧

والهناء ، فإذا حائل يقف بينهما وبين هذا الواقع الجميل ، تلك هى الحقيقة حقيقة هذا الرجل . مشلينيا . الذى اتضح لبريسكا أنه كان خطيبا لجدتها" (١)

ثانيا : لو عرف الشباب

تضمنت مسرحية لو عرف الشباب تجسيداً للصراع مع الزمن من خلال شخصية واحدة وقد بدأها بصراع راهص من خلال الكشف عن الحالة الصحية للباشا فهو يعانى أزمة صدرية :

الدكتور : حتى لا تعود إليه الأزمة على نحو خطر، فى مثل سنة ينبغى اتخاذ منتهى الحيطة (٢)

فالحالة الصحية للباشا تكشف عن صراع بينه وبين المرض وهو إرهاص بالأزمة ، مما يدعوه للتفكير فى دواء يجدد إليه نشاطه ، وهنا يتحول الحلم من رغبة غير ممكنة الحدوث إلى واقع حين يقدم له الطبيب الحقنة التى تعيد إليه شبابه ، وهنا يبدأ الصراع الفعلى حين يدعوه الباشا ليكون تجربة لهذا المصل العجيب.

الباشا: لا تقل لكن أقدم أقدم انتهز الفرصة كن جريئاً يا ابنى ، أشيخ متهدم مثلى يعلمك الجراة ؟ هلم املأ حقتنتك من هذه الزجاجة واتبعنى. (٣)

فالصراع هنا فى غاية الروعة حيث إنه دفع بالمسرحية إلى الأمام وبدأت بالإثارة والتشويق ، ومن ثم يظل المتلقى فى حالة ترقب لما قد تكشف عنه الأحداث.

---

(١) الملك أوديب (مسرحية).توفيق الحكيم ٤٤/٤٣ المطبعة النموذجية مطبعة الآداب القاهرة سنة ١٩٧٧م

(٢) لوعرف الشباب توفيق الحكيم ص ٣٦

(٣) لوعرف الشباب توفيق الحكيم ص ٤٧

ويختلف الصراع الراهص هنا عن الصراع الراهص فى أهل الكهف أن أهل الكهف كان صراعهم وهميا مع الماضى والخوف من المذبحة ، أما هنا فالصراع مع المستقبل وخوف الدكتور من خطورة التجربة ، لذا كان فتية الكهف يترقبون الحياة خارج الكهف بحذر أما الباشا فقد كان مقبلا على الحياة بصورة قوية ، وفى المقابل كان فشل التجربة قاسياً عليه فقد واجه صعوبات كثيرة جعلته يفر من هذه الحياة التى لا ينتمى إليها حقيقة وقد ظل الصراع فى الاحتدام ابتداء من إنكار المجتمع لزيه وملابسه ، ولغته وتفكيره الذى لا يتناسب مع شاب ، وهاهو قد خسر عمله وماله وأسرته وأصبحت أفكاره وحنكته السياسية لا تمثل شيئا فقد أرسل بعض المقالات موقعة بـ(صديق رفقى الصغير) ولم تلق أى قبول من الصحف ، لقد ضاقت عليه الحياة حتى أصبح مجرد كاتب فى مصنع الزيت ، يقاسى من أجل لقمة العيش ، حتى الشباب الذى تمناه ماعاد حقيقة إن عقله عقل شيخ رغم التهاب حرارة الشباب فى دمه ، لقد تحول جسدا منفصلا عن الروح وهنا يبلغ الصراع النفسى مع الزمن قمته ، ومن ثم يحاول أن يتخلص من هذه الكارثة وليس أمامه إلا الدكتور طلعت الذى وعده بأن يجد له مصلا يفسد مفعول الحقنة الملعونة فإذا به يفرح ويقول :

الباشا : غدا أعود إلى سيرتى الأولى ، غدا أعود صديق باشا رفقى ، فى نظر أسرتى وفى نظر الناس وفى نظر المجتمع ؟ ياللسعادة ، قلبى يدق كمن يعود إلى بيته بعد طول السفر، هذا القلب الذى لم يستطع أن يدق لحب جديد ولا لمصير جديد ، نعم تلك هى الحقيقة يا طلعت ، إن الشباب ليس فى الجسم ولكنه فى النفس أيضا (١)

فهذا المشهد يكشف عن صراع عنيف تعرض له الباشا ، حين انفصل جسده عن عاطفته وهذه هى المأساة الحقيقية ، ضياع قلبه ومن ثم ضياع عقله ومصيره ، ولم تستطع كل مغريات الحياة أن تمده بالسعادة ، من هنا فقد عاش الباشا صراعا عنيفا مع الزمن لذا كانت سعادته أن يعود لزمنه ، وتتبدى ملامح

(١) لوعرف الشباب توفيق الحكيم ص ١٢٤

هذه السعادة فى سرد مفردات حياته السابقة الأسرة البيت الناس.. كل شىء ، وقد كان من الممكن أن يجعل الحكيم الصراع ينتهى عند هذا الحد وإنما أراد أن يرينا بشاعة الزمن حين جعل الدكتور طلعت يستمع لهذا الكلام ويجارى صديق، ثم يقول لنبيلة هذاالرجل مجنون ، ليزداد الأمر تعقيدا وينقطع الأمل أمام الباشا ولكن بشاعة الزمن الذى يعيشه والحياة الجديدة جعلته يفكر فى حل آخر وهو مساعدة طلعت فى شفائه من مرضه النفسى عساه أن يعود لرشده ويعيد الباشا إلى الشيخوخة ، وهذه المحاولة تكشف عن إصرار الباشا فى الهروب من الشباب المزيف ، ثم ينتهى هذا الصراع حين نكتشف أن كل هذا مجرد حلم رآه الباشا.

وهكذا جعل الحكيم الصراع يبلغ قوته ليرسم أزمة الإنسان مع الزمن.

***رحلة إلى الغد**

جعل الحكيم الصراع الراهص فى مستهل مسرحية رحلة إلى الغد لشخصية واحدة من الشخصيتين المحوريتين ، وقد كشف فى هذا الصراع عن أزمة السجين الأول (الطبيب) مع الموت وأنه سيلاقى مصيره بعد ساعات وبالتالى فلن تختلف كثيرا صورة السجين الثانى فى سجنه وصراعه مع الحياة والموت :

السجين: نعم أكلم نفسى ، لم يبق لى أحد يصغى إلى ، لم يبق لى فى الحياة غير أيام ، وربما ساعات ، سأشبع صمتا ولكنى لم اشبع كلاما ، ما من أحد يريد أن يستمع إلى كلامى ، بعد أن قلت ما قلت ، ولكنى لم أقل كل شىء ، إنهم يريدون أن أسكت لأن القضية قد انتهت ، وكلامى لم يعد له قيمة ولا أهمية بالنسبة إلى أحد أو بالنسبة إلى شىء ، حتى ولا بالنسبة لهذه الحيطان والقضبان ، كل شىء حولى ينظر إلى وكأنه يقول لى : انتهى كل شىء فاذهب إلى المشنقة بلا ضجيج ، لكن الحقيقة ؟ حقيقة ما حدث ، الحقيقة التى وراء الحوادث وراء القضبان وراء التحقيقات

والملفات هذه الحقيقة التى أعرفها أنا أيريدون أن تذهب معى أيضا إلى المشنقة ؟ وبلا ضجيج (١)

ثم بدأ صراع جديد فرعى حين يحاول الانتقام من زوجته التى خدعته ، ومن هنا فإن الحكيم يحاول أن يشعرنا بأن الأزمة فى الزمن القصير الذى يعيشه هذا السجين وأنه لو تمنى شيئا فى هذا الموقف لتمنى الحياة ، فكيف وقد صارت حياة أبدية فى الكوكب المجهول ، ليبدأ صراعا جديدا هو الصراع الحقيقى مع الزمن فى المسرحية فالمكان منحهم الزمن وأصبحوا فى حياة أبدية يستغنون عن كل رغبات البشر وفى هذا الصراع يشترك السجينان ، ويبدأ الصراع فى الاحتدام حين يركب السجينان الصاروخ ويكتشفان أنهما كانا يقاسيان الموت مرة واحدة على الأرض وهم الآن يعانون الموت فى كل لحظة ، ليحاول الحكيم أن يكشف عن صراع أكثر خطورة من الصراع فى الفصل الأول :

السجين الأول : ما الذى أغرانا بهذه الرحلة المروعة(٢)

ثم يهبطان على الكوكب المجهول ليزداد عنفا رغم أنهما فى أول الفصل شعرا بانفراج الأزمة وأنهما سيعيشان حياة أبدية ولكن سرعان ما اكتشفا أن هذه حياة مريرة قاسية فهى تنزع الإنسان من آدميته ، لذا احتدم الصراع بصورة أشد قسوة مع هذا الزمن الذى لا ينتهى ولا يتقدم ، لذا فهو يقول :

السجين الثانى : أريد أن أموت (٣)

وقد تحول الصراع هنا من الموت إلى الموت ، لأن الحياة الأبدية أصبحت بلا أمل وبلا عمل ومن ثم فقد توقف الزمن ، وهنا يبدأ الحكيم فى عودة السجينين إلى الأرض ، مثلما عاد أهل الكهف لكهفهم وكذلك الباشا إلى شيخوخته ، لأن هذه

(١) رحلة إلى الغد.توفيق الحكيم ص ١٣
(٢) رحلة إلى الغد.توفيق الحكيم ص ٧٦
(٣) رحلة إلى الغد.توفيق الحكيم ص ٧٦

هى النهاية الطبيعية للصراع وبالفعل يعودان ولكن ليبدأ صراع جديد على الأرض مع عادات وتقاليد مجتمع تبدل رأساً على عقب وانتهى صراع السجين الثانى مع الحياة الجديدة إلى أن يسجن مع الاحتفاظ بأفكاره التى رفض أن تتغير.

وفى هذه المسرحية انتصرالصراع مع الزمن فى شخص السجين الأول ذوى المشاعر والأحاسيس ولم ينتصر على السجين الثانى الذى قبل أن يعيش زمنا غير زمنه لأنه بارد المشاعر يعتبر نفسه آلة تصلح لكل وقت دون مراعاة للمشاعر والأحاسيس ، وكأن الحكيم يقول إن من يقبل أن يعيش فى زمن غير زمنه لا يختلف كثيرا عن الآلات الصماء.

وهكذا نرى المسرحيات الثلاث تعطينا صورة للصراع مع الزمن وقهر الزمن للإنسان.

المبحث الرابع
الحبكة الفنية

الحبكة الفنية للمسرح هى " التنظيم العام لأجزاء المسرحية ككائن واحد قائم بذاته فهى عملية شبه هندسية لربط أجزاء المسرحية بعضها ببعض "[١]

وللحبكة أهمية كبيرة فى العمل الأدبى فهى عملية تنظيم تجعل المسرحية مقبولة لدى المتلقى وأن تكون أحداثها مرتبة ومقبولة الوجود دون إقحام حدث أو غياب حدث آخر ، ومن هنا فلابد أن تتضمن بداية ووسط ونهاية ويشترط أن تكون البداية فى البناء الهرمى منطقية ومحددة لنقطة ابتدائها بحيث لا يسبقها شىء ، أما الخاتمة فهى التى تأتى فى نهاية المسرحية ولا يكون بعدها شىء بحيث يستوفى الكاتب رؤيته المسرحية عند نهاية المسرحية ، وقد يلجأ بعض الكتاب إلى البناء التراجعى بحيث يبدأ من مشهد مثير قد يكون هو المشهد الأخير فى المسرحية ، ثم يعود بالأحداث مرة أخرى إلى الخلف ، ولكن لابد أن يحتوى هذا اللون من الحبكة على الإثارة والتشويق بحيث تبقى هذه الخاتمة عالقة الذهن وتحتاج إلى تفسير حتى نهاية المسرحية ، ولكن أغلب المسرحيات تعتمد على البناء الهرمى فهو الأكثر شيوعا وانتشاراً لبساطته.

ولا بد أن تتسم الحبكة الفنية بالصدق ، وليس معناه الصدق الواقعى ، وإنما عرض الموضوع على نحو منطقى مقبول ، وأن تحقق المغزى المنوط بها فتكون قادرة على تحقيق الهدف الذى ينطوى على الموضوع تمام التحقيق[٢].

(١) مدخل إلى فن كتابة الدراما. عادل النادى ص ٥٦ الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية سنة ١٩٩٣م

(٢) يراجع : المسرح فن وتاريخ. جلال العشرى ص ١٧٦ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م

وقد قسم الحكيم مسرحياته الثلاث حول الزمن إلى أربعة فصول ، وظف فيها البناء الهرمى الذى تتتابع فيه الأحداث مرتبة منظمة ، واختار هذا النمط حتى لا يرهق المشاهد بغموض فى الأحداث مع الفكرة الذهنية التى تحتاج إلى تأمل وتوضيح ، فمسرحية أهل الكهف تبدأ من لحظة استيقاظهم ويدور الفصل الأول فى إطار التعريف بالشخصيات ونوازعهم النفسية والاجتماعية والجسدية وخاصة ما تغير على أجسادهم بفعل هذا الزمن المتطاول ، كما عرض صورة خوفهم من المذبحة (الماضى) ثم يأتى الفصل الثانى والثالث وقد خرجوا للحياة وصرع كل واحد من الثلاثة مع الحياة ثم هروبهم متتابعين إلى الكهف ، هروب من الحاضر إلى الماضى الذى كانوا فى الفصل الأول يحذرونه ، ثم يأتى الفصل الرابع ليوضح نهايتهم بالموت فى الكهف. فالبناء كما نرى هرمى متسلسل يتسم بالمنطق " وكان من الممكن أن ينهى الحكيم مسرحيته عند هذا الحد المأساوى لكنه أبى إلا أن يقحم حادثة أخرى ربما ليؤكد عن طريقها حتمية انتصار الزمن ومدى قهره للإنسان ، هذه الحادثة تتمثل فى إتيانه بريسكا إلى الكهف لتدفن نفسها حية بجانب مشلينا "[1].

وأعتقد أن بريسكا رمز لمعالم الكون التى لم تتغير بين زمن وآخر وكأن بريسكا هى شمس أهل الكهف التى ظلت تنتظرهم كل هذه الفترة لتغرب معهم وتدفن فى الكهف ، فهى رمز الروح التى ظلت معلقة تنتظر أوبتهم لتدفن مع أجسادهم.

أما مسرحية لو عرف الشباب فهى أيضا ذات بناء هرمى وتنقسم إلى أربعة فصول والفصل الثانى منها ينقسم إلى مشهدين ، وهى مسرحية منطقية متسلسة فى عرضها بدأت بالباشا والدكتور وعودة الباشا إلى شبابه بعد أن أخذ (الحقنة) ثم يأتى الفصل الثانى بعقبات كثيرة تواجه الباشا ثم ياتى الفصل الثالث بمحاولات

(١) مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة العدد السادس عشر المجلد الأول سنة ١٩٩٧م ص ٩٣

الباشا أن يعود لشيخوخته ثم يأتى الفصل الرابع ليكشف لنا الحكيم أن كل هذا حلم معتمدا على التشويق من خلال التمويه فى إخفاء بداية الحلم ثم النهاية بموت الباشا بين أسرته.

وفى مسرحية رحلة إلى الغد يسير الحكيم فى إطار هرمى منطقى جدا ونراه دائما يفسر لنا الغرائب من خلال تفسيرات علمية تنبؤية ، وبدأها بالسجين الأول ومعاناته ثم العرض من الجهة العلمية الذى دفع به إلى الفصل الثانى ليكون فى رحلة فضائية فى صاروخ ثم الفصل الثالث فى الكوكب المجهول وصراع الزمان والمكان ، ثم العودة إلى الأرض ليصارع الزمن حين يرى الأرض تبدلت وتنتهى أيضا نهاية شبيهة بنهاية المسرحيتين السابقتين.

فالمسرحيات الثلاث تعالج مشكلة الزمن فى إطار هرمى متتابع الأحداث دون تقديم أو تأخير قد يؤدى لغموض المسرحية مما قد يسبب قلقاً فى ذهن المشاهد أو القارىء.

وقد استخدم الحكيم بعض الجمل الفنية فى الحبكة للمسرحيات الثلاث ،منها:

١. المقدمة الدرامية أو العرض

قدم الحكيم مسرحياته الثلاث بعرض يكشف عن الموضوع وطبيعة الشخصيات النفسية والاجتماعية والجسدية ،ففى أهل الكهف نتعرف على رجال فروا من مذبحة وتركوا ذويهم ، وكشف عن ملامحهم الشخصية فنرى الشعر والأظافر قد استطالوا ، ولم يهتم بأى عنصر جسدى آخر لأنه يرى أن الشعر والأظافر يدلان على الزمن الذى هو محور المسرحية ، كما حدد الملامح الاجتماعية والنفسية لك واحد منهم كما اتضح فى التحليل السابق ، وكذلك الأمر فى مسرحية لو عرف الشباب عرض للموضوع والشخصيات فى الفصل الأول ، أما فى رحلة إلى الغد فقد كان الأمر مختلفا فقد استحوذت شخصية السجين الأول على الفصل الأول وعرض لملامح

السجين الثانى فى الفصل الثانى وقد أخفى الموضوع والحديث عن الرحلة الفضائية فى المقدمة معتمدا على التشويق ، فقد ظل الغموض يكتنف الرحلة.

٢. نقطة الانطلاق

وتمثل فى مسرحية أهل الكهف لحظة انبعاث أهل الكهف من نومهم الطويل الذى ظنوه أياما قليلة ،وفى مسرحية لو عرف الشباب تتمثل نقطة الانطلاق فى ضجر الباشا من مرضه . الذبحة الصدرية . وكذلك حديث الدكتور طلعت عن بحثه العلمى حول الحقنه التى تعيد تجديد الخلايا ، وفى رحلة إلى الغد تظهر نقطة الانطلاق من عرض مندوب الجهة العلمية على السجين رحلته إلى الفضاء.

٣.الحدث الصاعد

ويتمثل فى أهل الكهف فى تصادمهم مع الناس وإحساسهم بفجوة زمنية ،وفى لو عرف الشباب يتمثل فى اختلاف توقيع الباشا على الشيك وعجزه عن الحصول على المال ،أما فى رحلة إلى الغد فيتمثل فى اصطدامهم المتكرر بالموت وهم فى الصاروخ وتحولهم لآلات تشحن بالكهرباء وقد تكرر الحدث الصاعد فى هذه المسرحية لأن كل فصل منها تضمن حلقة وأزمة مختلفة ولكن الحكيم استطاع أن يعرض كل أزمة فى صورة أعنف من سابقتها فاتسمت بالنماء والقوة.

٤.الاكتشاف

ويتمثل فى اكتشاف أصحاب الكهف علامات تدل على طول المدة التى ناموها وذلك من خلال طول أظافرهم وشعرهم ، ثم يأتى الاكتشاف الأكبر وأنهم لبثوا ثلاثمائة سنة ، واكتشاف مشلينيا أن بريسكا هذه ليست محبوبته ، واكتشاف مرنوش موت ابنه ، وكل هذه الاكتشافات مصحوبة بالقلق والخوف ، أما فى لو عرف الشباب فيتمثل الاكتشاف فى توصل الطبيب إلى اكتشاف حقنة الشباب وهو اكتشاف اثار الدهشة والفرح ، وكذلك اكتشاف أن كل أحداث المسرحية عبارة عن

حلم ، أما فى رحلة إلى الغد فهى مسرحية مليئة بالاكتشافات ، مثل اكتشاف السجين الأول خداع زوجته له ، ثم التعرف . وهو أقل إثارة . على طبيعة الصاروخ والكون، وقد قدم هذا العمل السجين الثانى المهندس، ثم اكتشاف طبيعة الكوكب المجهول وما فيه من عجائب ، ثم اكتشاف غرائب الحياة على الأرض بعد ثلاثمائة سنة.وأغلب هذه الأشياء التى اكتشفوها كانت مفرحة فى البداية مؤلمة فى النهاية.

هـ. التنبؤ أو التلميح

ظهر بصورة قوية فى أهل الكهف فى نبوءة العراف يوم ولادة بريسكا الحفيدة أنها ستشبه جدتها خلقا وإيمانا، وتمثل فى مسرحية لو عرف الشباب فى تنبؤ الباشا بأن أصدقائه لن يسيروا فى جنازته بعد موته وكان قد رأى هذا فى الحلم ،أما فى رحلة إلى الغد فهى مسرحية تنبؤية تفيض عن آخرها باستشراف المستقبل انطلاقا من التقدم العلمى الحديث الذى يشهده العصر الحديث.

٦.الحلم

وتمثل فى أهل الكهف فى حلم بريسكا أنها ستدفن حية ، ، أما فى لو عرف الشباب فالمسرحية كلها عبارة عن حلم ، أما رحلة إلى الغد فليس فيها أحلام.

٧.التشويق

ظهر بوضوح فى المسرحيات الثلاث ، فبريسكا فى أهل الكهف تشبه جدتها وتلبس صليبها وتعيش فى نفس القصر مما قد يدفع للتطلع حول حقيقتها ، وفى لو عرف الشباب نرى التشويق فى غرابة هذه الحقنة ونتائجها وماذا سيكون لو عاد الباشا شابا ، أما فى رحلة إلى الغد فالتشويق متوفر منذ أن جاء مندوب الجهة العلمية للسجين الأول فالمشاهد يطرح على نفسه الأسئلة هل ستتحقق نسبة الواحد فى المائة ويعود إلى الأرض ؟ ثم هل سيصطدم الصاروخ بالكوكب ويموتا ؟ وهل سيعودا إلى الأرض ؟... ورغم أننا قد نكون على علم بأن صراع الزمن يكون

لصالح الزمن ، مما يجعلنا نتوقع نهاية المسرحيات كلها ، إلا أننا لا نستطيع أن نتوقع كيف ستكون هذه النهاية؟ وهذا مما أعطى المسرحيات جانباً من التشويق؟

٨.الأزمة

وتتمثل فى فقدان كل الشخصيات المحورية . ماعدا السجين الثانى . أملها فى الحياة وإحساسهم جميعا بالضياع ، فيمليخا يفقد غنمه ومرنوش يموت ولده وزوجته ومشلينيا يفقد محبوبته ، وبريسكا تفقد الحب الذى رأته فى عين مشلينيا لتقرر الحقيقة وهى :لا فائدة من نزال الزمن ، وفى لو عرف الشباب تتمثل الأزمة فى فقدان الباشا معنى الشباب الحقيقى ، ليقول : هذا ليس هو الشباب الذى أتمناه ، وفى رحلة إلى الغد فقد كانت متصاعدة ، فكل فصل من المسرحية يتضمن ارتفاعا فى الأزمة عن سابقتها، الأزمة الأولى: أزمة القصاص ، والثانية: أزمة الموت المترقب فى كل دقيقة ، والثالثة: أزمة الحياة الأبدية بلا هدف ولا غاية ، والرابعة: أزمة الحياة المادية التى تقتل الروح وتحول الإنسان إلى آلة ، لذا قال السجين الأول لقد كنا فى الكوكب الملعون نعانى جمود العقل ووقوف الزمن. وهذه هى الأزمات فى المسرحيات الثلاثة.

٩.التعقيد

ويتمثل فى اصطدام شخصيات المسرحيات كلها بالزمن وفزعهم من الفجوة الزمنية ، ولكن فى رحلة إلى الغد كان التعقيد فى الزمان فى الأرض بعد ثلاثمائة سنة والمكان فى الكوكب المجهول.

١٠.الحدث الهابط

ويظهر فى هروب أهل الكهف إلى الكهف ، وفى لو عرف الشباب يبدوالحدث الهابط فى استيقاظ الباشا من غفوته التى لم تستمر سوى أربع دقائق ،

أما فى رحلة إلى الغد فقد تمثل الحدث الهابط فى رفض السجين الأول أن تسلط عليه الأشعة التى تغير تفكيره فقد تمسك بأفكاره التى تعطيه معنى الإنسانية.

١١. الحل

وقد كان متقارباً إلى حد بعيد بين المسرحيات الثلاث ففى أهل الكهف فقد ماتوا جميعا وأغلق الملك عليهم الكهف وبنى عليهم مسجدا، وفى لو عرف الشباب يموت الباشا بين أسرته ، أما فى رحلة إلى الغد " فالخاتمة تشير إلى أن الإنسان قبل الحياة الجديدة وأذعن لها ، أى قبل أن يكون آلة تأكل وتشرب ويمتد بها العمر.. والفارق الوحيد بين بطلى المسرحية فى هذا الموقف أن أحدهما قبل هذا الوضع كله والآخر قبله إلا ما ناحية العمل والعاطفة ، فهو يريد أن يعمل ويريد أن يحب ، ولكن إرادته لم تتحقق إذ أجبرته قوة الحاكم على أن يقضى بقية حياته فى مدينة السكون " (١)

من هنا كانت الخاتمة أو الحل فى رحلة إلى الغد مختلفة عن أهل الكهف ولو عرف الشباب.

أما عن قانون الوحدات الثلاث فقد تحققت وحدة الموضوع بشكل كبير ففكرة الزمن سيطرت على الحكيم فى المسرحيات الثلاث ، بل إنها سيطرت عليه أكثر من ثلاثين عاما ابتداء من عام ١٩٣٢م وقبل ذلك بأعوام عند كتابة أهل الكهف ،حتى عام ١٩٥٧م وهى السنة التى نشر فيها رحلة إلى الغد ، وله أيضا قصة قصيرة فى مجموعة أرنى الله بعنوان فى سنة مليون(٢) عرض فيها أيضا لفكرة الزمن ، ففكرة الزمن ظلت مسيطرة على ذهن الحكيم وأعطت مسرحيته وحدة فى الموضوع.

---

(١) مقالات فى النقد الأدبى.د.محمد مصطفى هدارة ص ١١٦

(٢) أرنى الله (مجموعة قصصية) توفيق الحكيم ص ٨٠ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة سنة ١٩٩٩م

أما عن وحدة الزمان والمكان فليست متحققة، فقد تنوع الزمان والمكان فكل فصل من الفصول فى مكان مختلف إلا أنه يكرر المكان بين الفصول ففى أهل الكهف تنوع المكان بين الكهف وقصر الملك وبهو الأعمدة وفى لو عرف الشباب الفصل الأول والرابع فى مكان واحد والفصل الثانى ينقسم إلى مشهدين رغم أنهما فى مكان واحد ،وتدور احداث المسرحية فى قصر الباشا وبيت الدكتور طلعت والمصحة النفسية ،أما فى رحلة إلى الغد المكان مختلف تماما فى كل فصل (السجن ،الصاروخ ، الكوكب ،الأرض بعد ثلاثمائة سنة) أما عن الزمان المسرحى فهو واضح الاختلاف جدا ولم يلتزم به الحكيم.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه أجمعين

وبعد هذا العرض والتحليل لمسرحيات الأديب الكبير توفيق الحكيم حول الزمن وأثره فى حياة الإنسان من خلال مسرحياته الثلاث (أهل الكهف ،لو عرف الشباب ، رحلة إلى الغد) يجدر بنا أن نشير إلى أهم النتائج التى توصل إليها البحث :

١. تمثل قضية صراع الإنسان مع الزمن قضية ذهنية من أهم القضايا التى عنى بها الحكيم فى أدبه المسرحى ، وطبيعة المسرح الذهنى عند الحكيم جعلت الأفكار عنده عبارة عن أبطال للمسرحية.

٢. سعى الحكيم إلى إظهار مسرحيته متضمنة الخصائص الفنية المسرحية ومع ذلك فقد كان دائما ما يقول إن مسرحه الذهنى لا يصلح للتمثيل لأن هذه المعانى أقوى من أن تجسد على المسرح.

٣. أثبت الحكيم أن صراع الإنسان مع الزمن يكون بلا جدوى وأن سلطان الزمن أقوى من الإنسان وأن الإنسان لا يملك إلا أن يلتزم مكانه فى صف الحياة فلا يتقدم أو يتأخر ، وأن واقع الانسان مهما كان قاسيا فهو أجمل من واقع آخر يعيشه ولا يجد فيه نفسه أو يجد بدنه تحول إلى آلة.

٤. استطاع الحكيم أن يجعل بريسكا رمزا لمعالم الكون التى لم تتغير بين زمن وآخر وكأن بريسكا هى شمس أهل الكهف التى ظلت تنتظرهم كل هذه الفترة لتغرب معهم وتدفن فى الكهف ، فهى رمز الروح التى ظلت معلقة تنتظر أوبتهم لتدفن مع أجسادهم.

٥. استطاع الحكيم أن يعالج قضيته فى إطار متعدد الزوايا ومتنوع ، فقد صور صراع الزمن فى الماضى والحاضر والمستقبل ، كما نوع الأنماط الإنسانية والطبقات الاجتماعية ليبن أثر الزمن على جميع الأنماط البشرية.

٦. لجأ الحكيم فى مسرحية أهل الكهف إلى القرآن الكريم يستلهم الآيات الكريمات التى تساعده فى رسم أفكاره الذهنية التى تتثال على ذهنه ولكنه كان اسلتهاما فى الإطار العام والفكرة الكلية دون النظر إلى الهدف القرآنى والعبرة الماثلة فى سردها فى القرآن الكريم.

٧. أخطأ الحكيم خطأ شديدا حين وصف شخصيات أهل الكهف بصفات لا تتفق مع ما جاء فى القرآن الكريم فقد قال فيهم رب العزة تبارك وتعالى، ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ الكهف ١٣ فى حين جعل الحكيم مرنوش يموت وثنياً.

وبعد فهذه مسرحيات ثلاث تكشف عن رؤية عميقة للحكيم، وأرجو أن يكون البحث قد عالجها معالجة تكشف عن القيم والخصائص الفنية المسرحية فيها.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم إنه على مايشاء قدير وهو نعم المولى ونعم النصير.

المصادر والمراجع

١. اتجاهات الشعر العربى المعاصر د/ إحسان عباس سلسلة عالم المعرفة فبراير سنة ١٩٧٨م.
٢. أحاديث فى الأدب ، رشيد الذوادى.طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٦م
٣. الأدب وفنونه د.محمد مندور. دار نهضة مصر القاهرة ١٩٧٧م
٤. أرنى الله (مجموعة قصصية) توفيق الحكيم. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة سنة ١٩٩٩م
٥. أصول الأنواع الأدبية.د. محمد أحمد العزب الناشر دار والى الإسلامية للنشر والتوزيع
٦. أهل الكهف(مسرحية).توفيق الحكيم طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة سنة ١٩٩٨م
٧. بجماليون.توفيق الحكيم. دار مصر للطباعة والنشر. الناشر مكتبة مصر
٨. بناء الزمن فى الرواية المعاصرة د/ مراد عبد الرحمن مبروك طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٨م.
٩. بين الأدب والنقد د/ محمد رجب البيومى طبعة الدار المصرية اللبنانية الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م
١٠. توفيق الحكيم وأسطورة الحضارة د/ ناجى نجيب. دار الهلال مايو ١٩٧٨م
١١. الدراسات الأدبية الجزء الأول تأليف :محمد الفاسى ، عمر الدسوقى ، محمدالصاق عفيفى ، طبعة دار الفكر الطبعة الثانية سنة ١٩٧٠
١٢. دراسات فى الأدب د. محمد أحمد العزب مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية القاهرة ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م
١٣. رحلة إلى الغد(مسرحية). توفيق الحكيم طبعة مكتبة مصر

١٤. الروائع السبع لمسرح توفيق الحكيم. محمد عبد الوهاب صقر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م
١٥. الشخصية الشريرة فى الأدب المسرحى.د. عصام بهى. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م
١٦. صورة المرأة فى مسرح توفيق الحكيم د. عبد اللطيف الحديدى.دار السعادة للطباعة الطبعة الأولى ١٤١٩/١٩٩٨م
١٧. عصفور من الشرق توفيق الحكيم.طبعة الدار المصرية اللبنانية القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
١٨. عن اللغة والأدب والنقد.د. محمد أحمد العزب. طبعة دار المعارف الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠م
١٩. فصول من الأدب والنقد د/ طه حسين طبعة دار المعارف ،
٢٠. فن الأدب توفيق الحكيم. دار مصر للطباعة
٢١. فن الكاتب المسرحى للمسرح والإذاعة والتلفزيون والسينما تأليف روجر. م بسفيلد ترجمة وتقديم درينى خشبة طبعة نهضة مصر القاهرة ١٩٧٨م
٢٢. فى تاريخ الأدب الحديث الرواية السرحية القصة د/ فؤاد المرعى منشورات جامعة حلب ، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ١٤١٩هـ ١٩٩٨م
٢٣. فى نظرية الرواية.بحث فى تقنيات السرد.د/عبدالملك مرتاض. دار الغرب للنشر والتوزيع.
٢٤. والقاموس المحيط للفيروزبادى طبعة دار الحديث بالقاهرة.
٢٥. لسان العرب لابن منظور دار صار بيروت الطبعة الأولى
٢٦. لو عرف الشباب (مسرحية).توفيق الحكيم طبعة مكتبة مصر.
٢٧. مدخل إلى فن كتابة الدراما. عادل النادى الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية سنة ١٩٩٣م
٢٨. مسرح توفيق الحكيم د. محمد مندور دار نهضة مصر للطبع والنشر الطبعة الثالثة.

٢٩. المسرح فن وتاريخ. جلال العشرى طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م
٣٠. المسرحية فى الأدب العربى الحديث.د. محمد يوسف نجم طبعة بيروت الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٠ /١٩٨٠م
٣١. معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية د/ إبراهيم حمادة. دار المعارف
٣٢. مقالات فى النقد الأدبى.د.محمد مصطفى هدارة.طبعة دار القلم.
٣٣. الملك أوديب (مسرحية).توفيق الحكيم. المطبعة النموذجية مطبعة الآداب القاهرة سنة ١٩٧٧م
٣٤. موسوعة الفكر الأدبى د/ نبيل راغب. الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٨م.
٣٥. ماذا قالوا عن أهل الكهف د. رمسيس عوض. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٦م
٣٦. النظرية الأدبية ومصطلحاتها الحديثة.د/سمير حجازى. دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية.
٣٧. النقد الأدبى الحديث د.محمد غنيمى هلال.طبعة دار نهضة مصر للطبع والنشر.

الدوريات

٣٨. فصول (مجلة) المجلد الثالث عشر العدد الأول ربيع ١٩٩٤م الجزء الثانى مقال بعنوان الزمن السحرى وجماليات التكرار ساندرا ناداف ترجمة محمد يحيى
٣٩. مجلة القاهرة. العدد ٧٦ .١٥ أكتوبر ١٩٨٧ الهيئة المصرية العامة للكتاب.مقال بعنوان القصص الدينى فى مسرح توفيق الحكيم. للكاتب عبد المجيد شكرى.

٤٠. مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة. العدد السادس عشر الجزء الأول١٤١٧هـ ١٩٩٧م بحث بعنوان قراءة نقدية فى مسرحية أهل الكهف لتوفيق الحكيم د. جميل عبد الغنى محمد.

المحتويات

الموضـــــــــــوع	الصفحة
مقدمة	٦٩٥
تمهيد	٦٩٧
الفصل الأول:صراع الـزمن فـى مـسرح الحكـيم (قـراءة فـى المضمون)	٧٠٣
المبحث الأول : صراع الزمن فى أهل الكهف.	٧٠٤
المبحث الثانى : صراع الزمن فى لو عرف الشباب.	٧٢٨
المبحث الثالث : صراع الزمن فى رحلة إلى الغد.	٧٤٠
المبحث الرابع:ملامح الاتفـاق والاخـتلاف بـين المسرحيات.	٧٦٠
الفصل الثانى:صراع الـزمن فـى مـسرح الحكـيم (قـراءة فـى الشكل).	٧٦٦
المبحث الأول : الحوار.	٧٦٦
المبحث الثانى : الشخصيات.	٧٨٩
المبحث الثالث : الصراع.	٨٠٧
المبحث الرابع : الحبكة الفنية.	٨١٨
الخاتمة	٨٢٦
المصادر والمراجع	٨٢٨
المحتويات	٨٣٢